

مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الفزوالبرتغالي سراحل المغرب وإمبراطور

بقلم : د أحمد بوشرب

استاذ مساعد بقسم التاريخ كلية الآداب - فاس

بعد ان تعرض العالم العربي لهجمة صليبية استهدفت خلال العصور الوسطى شطريه الشرقي والغربي (الاندلس - تونس)، تعرض من جديد، وقبل بداية العصور الحديثة (سبته والقسم الشمالي من المغرب) لمد ايبيري أولا، وعثماني ثانيا انتهى باكتساح اراضيه وفقدان استقلال بعض مناطقه لمدة تقرب من اربعة قرون. وتعتبر هذه الحقبة من اخطر الحقب التي مر بها العالم العربي. اذ كانت لها مخلفات جد خطيرة شملت كل الميادين واثرت كثيرا على تطوره اللاحق وبقي بعضها قائما الى يومنا هذا.

والخاييج العربي



فهل تسمح وثائقنا ومصادرنا العربي بالتأريخ لهذه الفترة ؟

لقد كان الجناح الغربي من العالم العربي يعيش اوضاعا اقتصادية وسياسية واجتماعية لم تكن تساعد على التأليف. ولذلك لم تصلنا عن الغزو الايبيري أولا، والعثماني ثانيا الا اشارات طفيفة حالت الى يومنا هذا دون اهتمام مؤرخينا بهذه الحقبة رغم خطورتها. فبالغرب الاقصى مثلا، لم تصلنا وثيقة واحدة عن احداث كبرى وعن معارك كانت حاسمة كمعركة وادي المخازن الكبرى (١٥٧٨م). وأكثر من هذا، لا تسمح المصادر المتوفرة لدينا بكتابة تاريخ هذه الحقبة لكونها تفتقر الى الدقة افتقارا يبعث على الاستغراب. فهي لا تحدد التواريخ ولا تذكر الاسماء ولا تميز بين جنسيات النصارى في فترة تنافست فيها الدول الاوروبية حول المغرب. فصاحب (عروسة المسائل) مثلا لا يذكر حين تعرضه لتصدى السلطان الوطاسي محمد الشيخ لمحاولة البرتغاليين تحصين (جزيرة المليخة) (١٤٨٩) قصد التحكم في سهل اللكوس ومدينة القصر الكبير لا اسم السلطان ولا تاريخ الحدث ولا جنسية الغزاة.

أما ابن القاضي. فانه اكتفى بالاشارة التالية : «وفي هذه السنة

(٩٨٤هـ)، حرك الشيخ الوطاسي للجزيرة التي أسفل من قصر كتامة في شعبان منها بجميع أهل المغرب، واحتال في قطع الوادي الذي دخلت منه سفن الكفرة. فطلبوا منه العفو عن أنفسهم. وقيل كانت في التي تليها»^(١). ومما له دلالة ان لا تستعمل كلمة برتغال من طرف مؤرخ مغربي الا في نهاية القرن التاسع عشر على يد الناصري الذي نقل ذلك عن مصدر اسباني اعتمد عليه للتأريخ للغزو الايبيري لسواحل المغرب، وان يكون الوحيد الذي أشار لأكبر عميل، يحيى او عفوفت، الذي لعب دورا كبيرا في تحقيق البرتغاليين لمكتسبات مهمة بالجنوب. وان يورد اسمه محرفا لنقله عن المصدر الاسباني السابق الذكر^(٢). وما ذكرته عن المغرب ينطبق كذلك على جارتيه، الجزائر وتونس. فالاستاذ احمد توفيق المدني لم يستطع التأريخ للغزو الاسباني للجزائر الا بعد اللجوء الى أرشيف سمنكاس الاسباني^(٣).

وبهذا يصبح الالتجاء الى الوثائق والمصادر الاوروبية ضروريا لكونها توفر المادة الاساسية، ولكونها تمثل بالنسبة الينا اهمية مزدوجة اذ تمكن من دراسة المد الايبيري واكتساحه للاراضي الاسلامية من الزاوية الداخلية والخارجية (ربط الغزو



المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب.
Sources Inedites de l'Histoire du Maroc.

أكبر عدد منشور من الوثائق الأوروبية، لكونها تضم ٢٧ مجلدا ضخما تحتوي على مئات الوثائق التي تم التنقيب عليها بأرشفات إسبانيا والبرتغال وفرنسا وإنجلترا وهولندا. وهذه المجموعة قسمان : الأول خاص بالدولة السعدية وسمي السلسلة

بأوضاع إيبيريا وبالتالي دراسة الأسباب والعوامل والوسائل المسخرة). ولكن هذا لا يعني أبدا الاستغناء الكلي عما يتوفر لدينا من وثائق ومصادر عربية مهما كانت عليه. وتوفر الارشيفات الأوروبية للباحث العربي كميات هائلة من الوثائق النفيسة ولعل المغرب اليوم أكثر الدول العربية حظا في هذا الباب إذ توفر مجموعة المصادر غير

الاولى، والثاني خاص بالدولة العلوية وسمي السلسلة الفلالية (٦ مجلدات نسخت من الارشيف الفرنسي). وجاءت السلسلة الاولى موزعة بين الدول الاوروبية الخمس كالتالي - فرنسا : ٤ مجلدات - هولندا : ٦ أجزاء - انجلترا : ٣ أجزاء - اسبانيا : ٣ أجزاء - البرتغال : ٥ أجزاء.

ومما يجعل من وثائق السلسلتين أداة عمل مهمة جدا هو ان صاحب الفكرة والمشرف على النشر وحد خطة العمل اذ ان كل وثيقة تقدم بملخص موسع في بعض الاحيان بالفرنسية وترفق بحواشي وتعاليق تساعد كثيرا على فهمها وكلما تم العثور على ملف متعلق بحدث ما، حرر المنقبون عن الوثائق مقالا يدرج قبل تلك الوثائق يسلطون بواسطته الاضواء على ذلك الحدث ويبينون إضافات تلك الوثائق الدفينة.

وتأتي أهمية هذه السلسلة في انها توفر للباحث العربي مادة خاما ولا تلزمه بالتنقل والتنقيب خصوصا وانه يستحيل على كل من ليس له المام بعلم الببليوغرافيا قراءة الوثائق لكونها مكتوبة بخط يجعل عين القارئ غير المتعود عليها عاجزة حتى عن معرفة اتجاه الحروف الصحيح هذا فضلا عما تحتوي عليه من رموز

واختصارات تجعل بعض كلماتها لا تحتوى الا على حرف او حرفين من الابجدية اللاتينية.

ورغم ما يمكن ان يوجه للمشرفين على نشر تلك الوثائق من لوم ومهما كانت الأسباب وراء نشر وثائق دون اخرى، فان الباحث العربي لا يمكنه اليوم الا ان يغتبط لتوفر هذه المادة العلمية الهائلة المتعلقة بأخطر فترات تاريخ العالم العربي الاسلامي وسأقتصر في المرحلة الاولى من هذا العرض على المجموعة البرتغالية التي دام تعاملى معها خمس سنوات. ولن اعرض لكل الوثائق التي اشتملت عليها، بل سأخص بالذكر العربية منها التي يمكن للباحث العربي الذي لا يستطيع استغلال النصوص البرتغالية الاعتماد عليها في دراسة مراحل اعتداء البرتغال على السواحل العربية الاسلامية ودوافعه ومختلف ردود الفعل التي تولدت عنه. وسأنتقل بعد ذلك للتعريف بوثائق اخرى محفوظة بالارشيف الوطني البرتغالي. وتم العثور على وثائق السلسلة البرتغالية بالارشيف الوطني بلشبونة Arquivo Nacional da Torre do Tombo وبمكتبه مدينة يابره (Evora) ونشرت الاجزاء الخمسة بباريس ما بين ١٩٣٤ و ١٩٥٣م نشر المؤرخ الفرنسي (P.Cenival) الجزء الاول سنة ١٩٣٤ في ٧٨٢ص

احتوت على ١٥٨ وثيقة تتعلق بأحداث الفترة ما بين يوليو ١٤٨٦ وإبريل ١٥١٦. وأغلبية هذه الوثائق عبارة عن تقارير بعث بها المسئولون البرتغاليون على الثغور ومساعدوهم البرتغاليون واليهود والمسلمون. وتتعلق هذه التقارير بمراحل الغزو البرتغالي للجنوب المغربي. ورغم كثرة الوثائق السياسية. فإن هذا الجزء ضم عددا مهما من الوثائق التي تسلط الاضواء على الجوانب التجارية والاجتماعية والدينية.. ومن بين الوثائق المذكورة توجد الوثائق العربية الاثنتي عشرة التالية :

(١) نص معاهدة الحماية البرتغالية على مدينة ازموور بعث بها الملك البرتغالي الى اعيان المدينة للتصديق عليها وهي مؤرخة في ١٦ اغسطس ١٤٨٦ ومرفقة بنص التصديق وأسماء الموقعين عليها (ص - ٩ - ١٦).

(٢) رسالة من الملك البرتغالي (جوا الثاني) الى قائد مدينة أسفى مؤرخة في ١٦/١٠/١٤٨٨ يخبره بقبوله بقاء المدينة المذكورة تحت الحماية البرتغالية مع التأكيد على حقوق وواجبات الطرفين. (ص ٢٥ - ٣٠).

(٣) رسالة أعيان قبائل الشرقية (نواحي أسفى بالجنوب المغربي) الى الملك البرتغالي مؤرخة في ديسمبر ١٥٠٢ يشتمكون فيها من تصرفات

ممثلة التجاري بميناء مزغان (قرب ازموور) التي تضر كثيرا بالسكان مما قد يؤدي الى الحاق الضرر بمصالح الملك (ص ٨٣ - ٨٤).

(٤) رسالة من الملك البرتغالي امنويل الاول الى اعيان ازموور مؤرخة في ٢٢/٤/١٥٠٤ ردا على طلب العفو الذي طلبوه اثر عصيانهم ونهبهم للسفن البرتغالية مع التأكيد على شروط الملك من اجل الحصول على العفو (ص ٩٥-٩٨).

(٥) رسالة من اعيان أسفى الى الملك البرتغالي امنويل مؤرخة في ٢/٧/١٥٠٩ يشتمكون فيها من النهب والتعسفات التي عانت منها المدينة بعد دخول الجيش البرتغالي اليها، ويفضضون فيها طيش سياسة القبطان الذي سبب خراب المدينة وفرار سكانها. (١٧٨-١٩٨). وهي وثيقة مهمة جدا).

(٦) رسالة من أعيان ميناء ماسة بالجنوب المغربي الى نفس الملك البرتغالي مؤرخة في ٢٨ ربيع الاول ٩١٦ الموافق ٦/٧/١٥١٠ يشتمكون فيها من تصرفات ممثلة التجاري بميناء سننا كروش (اكدر حاليا) ويعبرون فيها عن خيبة أملهم في الحماية البرتغالية. (ص ٢٣٤ - ٢٣٩، وهي وثيقة مهمة جدا).

(٧) رسالة على بن سعيد، احد

ايعان ازموور، الى الملك امنويل مؤرخة في بداية شعبان ٩١٦هـ (ما بين ٣ - ١٢ يونيو ١٥١٠) يعرض فيها خدماته وخدمات سيده، المولى زيدان، حاكم أزموور (٢٤٩ - ٢٥١).

(٨) وثيقة مؤرخة في أوائل ربيع الثاني ٩١٨هـ (١٦ - ٢٥ نوفمبر ١٥١٢)، عين بواسطتها يحيى او تغوفت، قائد المناطق الداخلية الخاضعة للبرتغاليين، ممثلاً عنه في قبيلة الحارث وفوض له سلطات قضائية وحدد مختلف أنواع الجرائم والعقوبات المناسبة (ص ٣١٦-٣٢٠).

(٩) وثيقة مشابهة تعود الى يونيو ١٥١٢ عين بمقتضاها يحيى او تغوفت المذكور نائباً عنه بإحدى قبائل الجنوب المغربي. (ص ٣٢٦-٣٢٧).

(١٠) رسالة من لحسم امجوط تعود الى اكتوبر ١٥١٢ بعث بها الى قبطان وعامل أسفي يفضح فيها بعض المواقف المعادية للبرتغاليين واعداد يحيى او تغوفت للخيانة (ص ٣٦٢-٣٦٣).

(١١) رسالة من نفس الشخص الى نفس المسئول البرتغالي ديسمبر ١٥١٢ يخبره فيها بعصيان سكان المدينة الغربية وبتواطؤ يحيى او تغوفت معهم. (٣٧٠-٣٧١).

(١٢) رسالة من يحيى او تغوفت

الى عمه بعث بها من منطقة الحوز (مارس ١٥١٤) يخبره فيها بقرب وصوله الى مقر اقامته (سرنو) وباستعداده لمواجهة الامير الوطاسي الذي دخل المنطقة لنسف المكتسبات البرتغالية ولمعاقبة المتعاملين مع البرتغاليين (ص ٥١٤-٥١٥).

وبالاضافة الى الوثائق البرتغالية والعربية، يحتوي هذا الجزء على عدد من المقالات اشير هنا الى اهمها :

- بداية التوسع البرتغالي بالمغرب (ص ٧-١٦ من المقدمة)

- فرض نظام الحماية على أزموور سنة ١٤٨٦ (ص ١-٣).

- احتلال أسفي من طرف البرتغال سنة ١٥٠٨ (ص ١٢٠ - ١٢٧)

- تقسيم مناطق النفوذ بين البرتغال واسبانيا بالمغرب (٢٠٣-٢١٢).

- احتلال البرتغاليين لمدينة ازموور ٣٠ سبتمبر ١٥١٣ (ص ٣٩٤-٤٠٢)

- الهجوم على مراکش يوم ٢٣ ابريل ١٥١٥ (ص ٦٨٧-٦٩٢)

- الهجوم على المعمورة، يونيو اغسطس ١٥١٥. (ص ٦٩٥-٧٠٢)

وتم جمع وتحقيق وتقديم وثائق

الجزء الثاني على يد الباحث الفرنسي سينيفال ولكنه لم ينشر الا بعد وفاته

سنة ١٩٣٧. وتم ذلك على يد المؤرخ البرتغالي لوبيز (David Lopes)

والفرنسي ريكار (R. Ricard) وقسم هذا الجزء الى قسمين نشر أولهما

بباريس سنة ١٩٣٩ في ٣٨٨ صفحة
ضمت ٩٦ وثيقة تتعلق بالفترة ما بين
مايو ١٥١٦ وديسمبر ١٥٢٦ . وتوجد
ضمن هذه الوثائق أربع عشرة وثيقة
عربية :

(١) رسالة بعث بها احد الدكاليين
(يوليو ١٥١٦) الى قبطان أسفي
الجديد يعرض عليه فيها خدماته
ويقدم بعض النصائح لارجاع
الاستقرار الى المنطقة (ص ١٦-١٧) .

(٢) رسالة بعث بها الى نفس
القبطان شخص يطلب فيها منه حماية
قبيلته من مضايقات قبائل مشنزاية
القوية - والرسالة مؤرخة في اغسطس
١٥١٦ - (ص ١٩-٢٠)

(٣) رسالة من أعيان قبيلة أولاد
عمران الدكالية التي قبطان ازمور قدر
تاريخها بما بعد ١٥١٦/٨/٢٩
(ص ٣٠-٣١) .

(٤) رسالة من أعيان قبائل
(الشرقية) الى الملك امنويل (بعيد
١٥١٦/١٠/٣ حسب تقدير الناشر)
يخبرونه بعودتهم الى اراضيهم والى
الولاء بعد فترة من العصيان وببداية
تفاوضهم مع قبطان ازمور الذي
نوهوا بخصاله (ص ٤١ - ٤٢) .

(٥) رسالة من شخص يسمى حمو
اموكش الى الملك البرتغالي يخبره فيها
برفض قبائل الشاوية التعاون مع
سلطان فاس ضد البرتغاليين
(ص ٥٠-٥١)

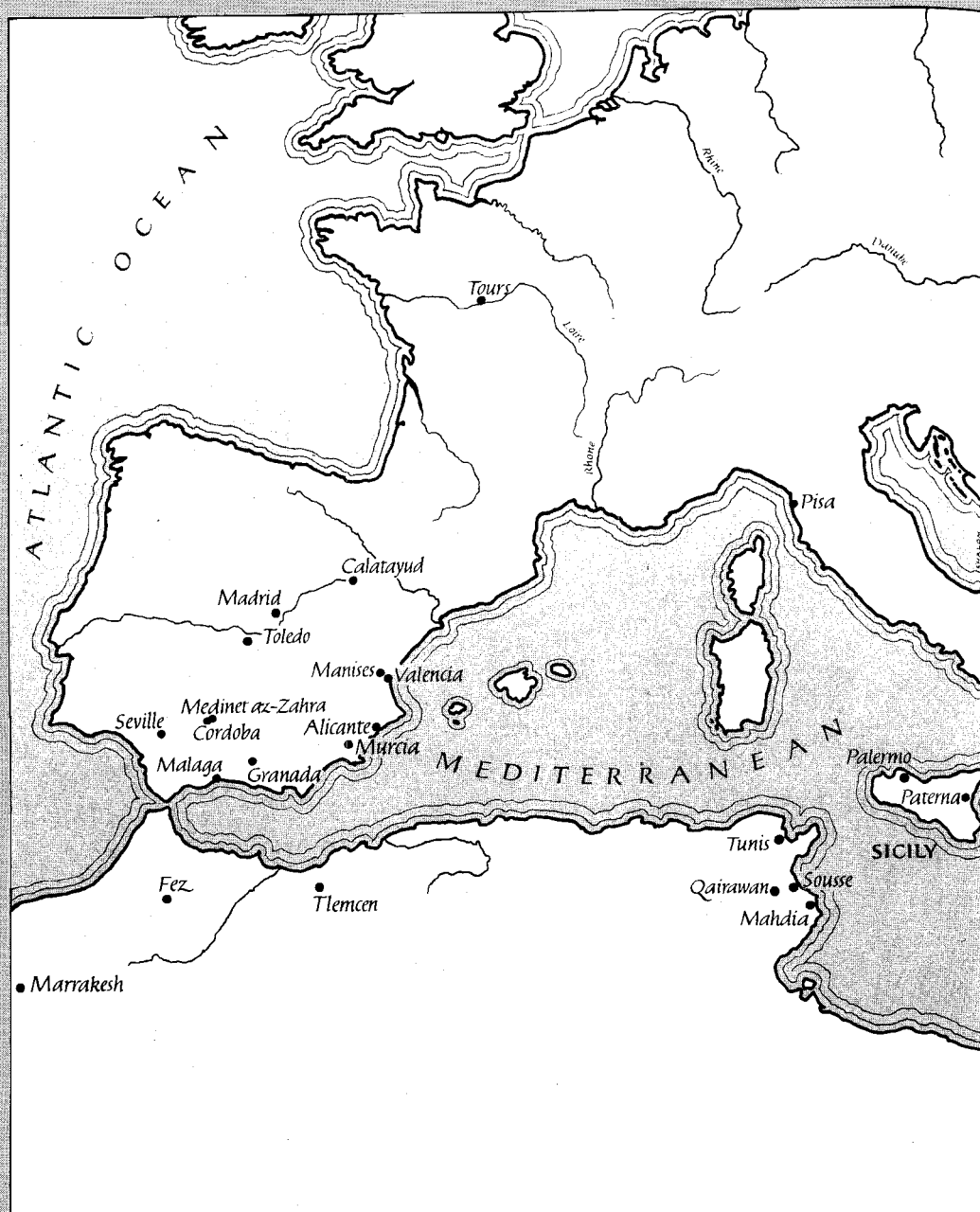
(٦) رسالة من يحيى بن بولصباغ
الى الملك البرتغالي بدون تاريخ (قدره
الناشر في مايو ١٥١٧) يطلب منه فيها
مساعدة مالية وألبسة شرفية ويعرض
عليه وساطته بين البرتغال وقبائل
الشاوية قصد اخضاعها
(ص ٨٩-٩٠) .

(٧) رسالة من سليمان بن محمد
الى اشياخ عبدة يخبرهم بقرب دخول
السلطان الى المنطقة وينصحهم
بالفرار . وقدر الناشر التاريخ في بداية
يونيو ١٥١٥ . (ص ٩٥) .

(٨) رسالة من يحيى او تعفوفت الى
امنويل (أول اغسطس ١٥١٧)
يشتكي فيها من تأمر القبطان وبعض
المسؤولين البرتغاليين وأعيان الجالية
اليهودية بأسفي ضده ، الأمر الذي
عاق كثيرا صموده في وجه جيوش
السلطان (ص ١٣٣-١٣٦)

(٩) رسالة من نفس العميل الى الملك
البرتغالي بدون تاريخ (حسب الناشر :
١٥١٧/٨/٥) يطلعه فيها على
اوضاع المنطقة السياسية بعد الحملة
العسكرية التي نظمها السلطان
ويوضح فيها طيش سياسة القبطان
ومساعديه التي أضرت كثيرا بمصالح
الملك بالمنطقة (ص ١٥٤-١٥٦) .

(١٠) رسالة من عبدالرحمن بن حدو
قائد المساي سابقا الى الملك أمنويل
بدون تاريخ (بعد مايو ١٥٢١) يعبر
فيها عن خيبة أمله في البرتغاليين



الذين غادر منطقته صحبة اتباعه لخدمتهم، ويشتكي فيها من عداء المسؤولين البرتغاليين بأزمور له (ص ٢٨٢-٢٨٤).

(١١) رسالة من احمد الاعرج السلطان السعدي، الى الملك البرتغالي جوا الثالث مؤرخة في ٢٤ صفر ٩٣٢ هـ (موافق ١٠/١٢/١٥٢٥) يحتج فيها ضد عدم احترام قبطني أسفي وأزمور للهدنة الموقعة معهما في السنة الماضية ويطلب من الملك البرتغالي انصافه وارسال قاض للتحقيق في الموضوع (ص ٣٤٨-٣٥٠).

(١٢) رسالة من السلطان السعدي احمد الاعرج الى قبطان أسفي «غرسيا دوميلو» بتاريخ ٣ ذي الحجة ٩٣٢ موافق ١٠/١٩/١٥٢٦ يخبره بتوقيعه على هدنة مع سابقه ويطلب منه اخباره بموقفه منها (ص ٣٥٦).

(١٣) رسالة من كاتب السلطان السعدي المذكور الى القبطان المذكور حول نفس الموضوع حررها بعد اسبوع من تحرير الرسالة السلطانية السابقة (ص ٥٩).

(١٤) نص معاهدة هدنة موقعة ما بين السلطان السعدي والملك البرتغالي في ٢٢ ذو الحجة ٩٣٢ هـ (٢٩/٩/١٥٢٦) وهى بالصفحتين (٣٦٧-٣٦٨).

والملاحظ ان وثائق الجزء الاول وهذا القسم الأول من الجزء الثاني تسمح بدراسة نوع خاص من التحكم انتهجه البرتغاليون بجنوب المغرب امتاز بالاعتماد على الدبلوماسية والرشاوي وخلق عملاء وفرض نوع من الحماية على المدن اولا ثم على المناطق الداخلية بعد ذلك. ويمكن للباحث العربي ان يعتمد في دراسة خصائص هذه السياسة على الرسائل العربية السابقة الذكر وان يقارنها بما اتبع مع عدد من الثغور بالمشرق كهرمز وبعض مدن الساحل الهندي الاسلامية وذلك اعتمادا على وثائق عربية محفوظة بالارشيف الوطني البرتغالي سأعود للحديث عنها بعد قليل.

ونشر القسم الثاني من الجزء الثاني بباريس سنة ١٩٤٦ على يد ناشري القسم السابق واحتوت صفحاته (٣٢٣) على ٨٥ وثيقة تغطي الحقبة ما بين ١٥/١/١٥٢٧ و ٢٣/١٢/١٥٣٤. ومن هذه الوثائق سبعة بالعربية.

(١) رسالة بعث بها السلطان الاعرج الى الملك البرتغالي في ٢٢ جمادي الثانية ٩٣٣ موافق ٢٦/٣/١٥٢٧ جوابا على خطاب بعث به هذا الاخير الى اخ السلطان حول شروط الهدنة. وفي هذه الرسالة يحتج ضد عدم

احترام قبطان أسفي للهدنة وبيعث
باحدى رسائل هذا الاخير لاثبات ذلك
(ص ٣٩٩-٤٠٠).

(٢) رسالة من الامير الوطاسي مسعود
بن الناصر الى الكونت دولنيارش يعبر
له فيها عن صداقته ويلومه على عدم
الكتابة اليه ويخبره انه اجاب الملك
جوا الثالث بواسطة الحاخام ابرهم
بن زميرو والرسالة مؤرخة في أواخر
ذي الحجة من سنة ٩٣٣هـ
(١٧-٢٦/٩/١٥٢٧) -

ص ٤١٢-٤١٣.

(٣) رسالة من الكونت السابق الى
القائد احمد العطار، مؤرخة في
١٥٢٨/٣/٤ يخبره فيها انه توصل
بخطابه وبهديته وبتمسك الملك
البرتغالي بشروط السنة الماضية حول
السلم وبأنه اذا ما قبلها السلطان فما
عليه الا ارسال مفاوضين
(ص ٤٣٤-٤٣٥).

(٤) رسالة من أعراب ظهير أزمور الى
الملك البرتغالي بدون تاريخ (يونيو
١٥٢٩) يحملونه فيها مسئولية المآسي
التي يعانون منها بسبب الغارات التي
ينظمها ضدهم كل من البرتغاليين
والمغاربة ويطلبون فيها من الملك
المذكور الالتزام بما تعهد لهم به من
حماية اذا كان يود ان يبقوا تحت
طاعته (ص ٤٥٩-٤٦١).

(٥) رسالة من القائد احمد العطار الى

احد ابناء عم السلطان بدون تاريخ
يطلب فيها منه العودة الى مملكة فاس
نظرا لقلق السلطان بسبب تفكيره في
الالتجاء للبرتغال (ص ٤٦٨-٤٦٩).

(٦) رسالة من السلطان احمد الاعرج
الى الملك البرتغالي جوا الثالث مؤرخة
في ٢٣ ربيع الاول ٩٣٦هـ
(٢٥/١١/١٥٢٩) يعرض فيها حالة
مغربي التحق بأسفي وتنصر هناك
وتطلب منه السماح له بالعودة الى
ذويه ليختار بعد ذلك الدين الذي
يريده. وأشاد السلطان في هذه
الرسالة برغبة قبطان أسفي الجديد في
الحفاظ على السلم. (ص ٤٩٥-٤٩٦).

(٧) رسالة من قائد مدينة سلا الى
قبطان ازمور (بدون تاريخ قبل
١٥٣٠م) يخبره باتفاقه مع
كبير يهود ازمور الذي أرسل للتفاوض
معه حول هدنة لمدة ثلاثة اشهر
(ص ٥٠٠-٥٠١).

ويلاحظ ان وثائق الجزء الاول
والقسم الأول من الجزء الثاني تتعلق
بمرحلة سطوة البرتغاليين بالجنوب
المغربي وتسلط الاضواء على مراحل
تحكمهم فيه والوسائل التي سخروها
لذلك وردود الفعل التي تولدت عن
ذلك. اما وثائق القسم الثاني من
الجزء الثاني فتسلط الاضواء على
تراجع النفوذ البرتغالي بالمنطقة منذ
بداية العشرينات من القرن السادس

عشر خصوصاً بعد تقوية نفوذ الشرفاء السعديين ودخولهم مراكز (١٥٢٤) ولهذا تغلب على هذا المجلد الرسائل المتبادلة ما بين الملك البرتغالي والسلطان السعدي والتقارير التي تؤكد دخول برتغاليي الجنوب في مرحلة جديدة امتازت بفقدان المبادرة الشيء الذي جعل الملك البرتغالي يفكر في اخلاء بعض تلك الثغور خصوصاً بعد الحصار الكبير الذي ضربه السلطان السعدي على أسفي سنة ١٥٣٤. وتوجد ضمن هذا المجلد عدة وثائق تتعلق بالحصار المذكور والمساعدات العسكرية التي توصلت بها أسفي ونص الرسالة التي بعث بها الملك البرتغالي الى بعض الشخصيات السياسية والدينية حول مشروع اخلاء أسفي وأزمور وردود بعض تلك الشخصيات.

ونشر الباحث الفرنسي ريكار الجزء الثالث سنة ١٩٤٨. وتضم صفحاته (٥٧٢) ١٤٩ وثيقة برتغالية تتعلق بأحداث عرفها المغرب ما بين اول يناير ١٥٣٥ و٢٢ ديسمبر ١٥٤٢. ويغلب على هذه الوثائق نوعان :

- نوع ذو طابع دبلوماسي تم تبادله بين الملك البرتغالي وملك المغرب أحمد الاعرج بمراكش ، وأحمد الوطاسي بفاس حول هدنة تمت بين البرتغال واحدى الامارتين المغربيتين ، أو تم

تبادلها ما بين لشبونة وفاس لتحضير حلف عسكري ضد الشرفاء السعديين . ومن هذه الوثائق الدبلوماسية رسائل بعث بها الملك البرتغالي الى كل من الامبراطور شارل الخامس والبابا يخبرهما فيها باندحار جيوشه بالمغرب وهزيمتها على يد الشرفاء السعديين الذين استطاعوا تحرير ميناء أكدير (١٥٤١) وبدأوا يزحفون نحو ثغور اخرى ، وطلب منهما امداده بمساعدة حتى يتمكن من كسر شوكتهم قبل ان يستطيعوا اعادة توحيد المغرب وتهديد اسبانيا . - نوع يسلط الاضواء على الظروف الصعبة التي اصبح البرتغاليون يعانون منها داخل الثغور المحاصرة وما اصبحت تتحمله الخزانة البرتغالية من مصاريف للدفاع عنها . ويحتوي هذا الجزء بالاضافة الى الوثائق ، على ثلاث دراسات قيمة ، اولاهما تتعلق بأسقفية أسفى ما بين ١٤٨٧ و١٥٤٢ (ص ٧٥ - ٨٢) وثانيتهما عن قائد الشاون المولى ابراهيم بن علي بن راشد الذي كان ينسق ويقود عمليات الجهاد ضد البرتغاليين بشمال المغرب (ص ١٤٦ - ١٥٧) . وكان موضوع الدراسة الثالثة يتعلق بسفير الملك البرتغالي وممثله التجاري بفاس وبمساعيه لعقد حلف عسكري وطاسي - برتغالي وتنظيم حملة عسكرية مشتركة ضد

الشرفاء السعديين (ص ١٧٦ - ١٩٢).

ونشر نفس الباحث الجزء الرابع سنة ١٩٥١ وكان من ٤٣١ صفحة احتوت على ١١٠ وثائق تتعلق بأحداث السنوات ١٥٤٢ - ديسمبر ١٥٥٠ ، وعلى عدد من الدراسات . وتغلب على هذه الوثائق ما يتعلق بمملكة فاس التي كانت تلفظ انفاسها الأخيرة والتي حاولت أن تحول دون اكتساحها من طرف جيوش الشرفاء السعديين بعقد حلف عسكري مع البرتغال . ويضم هذا الجزء عددا من التقارير التي بعث بها قبطان مزغان ، آخر ثغر بقي بأيدي البرتغاليين بالجنوب المغربي ، حول الحروب التي خاضها هناك ضد المغاربة .

ومن مقالات ودراسات هذا الجزء أشير الى أهمها :

- أحداث تطوان سنة ١٥٤٢ (ص ١٠٥ - ١٠٦)

- التخلي عن المدن المغربية المحتلة من طرف البرتغال (ص ٣٣٥ - ٣٤٩) .

- علاقات الجزر الخالدات مع الثغور المغربية المحتلة خلال القرن السادس عشر (ص ٤١٣ - ٤١٩) .

ونشر الجزء الخامس والأخير على يد ريكار سنة ١٩٥٣ وضم ٢٨ وثيقة اعتبرت اضافية لكونها خارجة عن الاطار الزمني للسلسلة (١٥٥٢/٢ - ١٥٧٨) .

وتكمن اهمية هذا الجزء في دراسة قيمة بويه بها الناشر حول اسباب فشل الغزو البرتغالي بالمغرب وخصوصا في ببليوغرافية وفهارس جد مفصلة احتوت على كل اسماء الاعلام والقبائل والاماكن والاوزان والمكايل والسلع والعملات وغيرها التي وردت في الاجزاء الخمسة ، مما يجعل منها اداة بحث قيمة جدا (ص ١٤٧ - ٢٥٢) .

وتجدر الاشارة الى أن نشر هذه الاعداد المهمة من الوثائق لم يكن سهلا لأن ذلك تطلب انتقاءها من بين آلاف الوثائق المحفوظة بالارشيف الوطني البرتغالي

وتغلب على هذه الوثائق ما تم نسخه من المجموعة المسماة Cronologico التي تضم ٨٢٩٠٢ وثيقة ، أو من المسماة As Gavetas Da Torre Do Tombo أي من ادراج أرشيف حصن القبر التي تضم حوالي ٧ آلاف وثيقة . أما الوثائق العربية ، فتم نسخها من بين الوثائق المرتبة تحت اسم «دار المعاهدات» ، الوثائق العربية Casa Dos Tratados, Documentos Arabes

وبالاضافة الى سلسلة المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب اعتمدت منشورات أخرى على وثائق المجموعات الثلاث السابقة الذكر . ففيما يخص مجموعة corpo

(cronologico) ، نشر الباحث البرتغالي (A. Baiao) المدير السابق للارشيف الوطني سنة ١٩٢٥ ، وبأمر من أكاديمية العلوم البرتغالية ، الوثائق المتعلقة بالغزو البرتغالي لسواحل المغرب . وضم مؤلفه الذي عنوانه كالتالي Documentos Do Cronologico Relativos A Marrocos ٦٩ وثيقة تغطي احداثا تتعلق بالفترة الممتدة ما بين ١٤٨٨ و ١٥٤١ . واذا كان الناشر قد أعطى النص الكامل للوثائق التي اعتبرها مهمة ، فإنه لم يرفقها مع الاسف ، بمقدمات ولا بهوامش ولم يورد الا ملخصات وارقام ٨٧ وثيقة اعتبرها ثانوية . كما ان الوقوف عند وثائق ١٥١٤ ليس له من مبرر سوى الاكتفاء بتسليط الاضواء على فترة سطوة البرتغاليين بالجنوب والسكرت عما عانوه من مشاكل بعد التاريخ المذكور . ومن الوثائق المنشورة بهذا الكتاب ٢٣ أعيد نشرها على يد الباحث الفرنسي سينيفال في الجزء الاول من سلسلة المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب .

وتتعلق مواضيع وثائق مؤلف (بياو) A. Baiao بمراسلات تبادلها الملوك البرتغاليون مع وكلائهم التجاريين والماليين ومع قباطنتهم بالثغور حول مراحل التحكم في الجنوب وظروفه وحول الاوضاع الاقتصادية التي كان يعرفها كما تتعلق بالمعاشات والرواتب

المؤداة لمن ساهموا في المجهود العسكري وبالتحصينات المستحدثة بالثغور المحتلة وبيع بعض السلع وأثمانها .

أما الوثائق العربية ، فلم يصلنا منها الا ملف واحد سبق لي استغلاله بلشبونة منذ ثلاث سنوات وكان الراهب لويس دو سوز (F. Luis De Sousa) اول من اهتم بهذه الوثائق العربية اذ نشر بعضها بلشبونة سنة ١٧٩٠ في مؤلف سماه «وثائق عربية تساهم في كتابة التاريخ البرتغالي» "documentos Arabicos Para Historia Portuguesa"

والوثائق العربية التي وصلتنا - منها ما هو فارسي - عبارة عن رسائل وصلت الى الملوك البرتغاليين من سلاطين المغرب وامراء الثغور التي كانت تحت حمايتهم ومن بعض الاعيان الذين كانوا في خدمتهم .

وتسمح هذه الوثائق للباحث العربي الذي لا يفهم البرتغالية بتتبع خصائص ما سمي بالحماية البرتغالية على عدد من الثغور بالمغرب وبالساحل الهندي وبهرمز . كما تمكن من أخذ فكرة عن معاناة حكام وسكان تلك الثغور من تعسفات القباطنة البرتغاليين ومساعدتهم .

واذا كان مؤلف الراهب المذكور يوفر عددا من هذه الوثائق العربية ، فإنه يحتوي مع ذلك على عيب كبير

يتمثل في كون المؤلف اعطى للوثائق التي لم يؤرخها محرروها تواريخ بعيدة عن الصواب .

أما الإدراج السابقة الذكر فتتكون من ٢٣ درجا رتبت فيها بطريقة عشوائية آلاف الوثائق التي تغطي الفترة الممتدة ما بين القرون الوسطى وسنة ١٩٣٤ .

ومن حسن حظ الباحث ان وثائق هذه الادراج نشرت على يد مجموعة من الباحثات البرتغاليات التابعات لمركز «الدراسات المتعلقة بما وراء البحار centro De Estudos Historicos Ultramarinos) اللواتي نشرن تلك الوثائق في ١٢ مجلدا ما بين ١٩٦٠ و١٩٧٧ . وبما ان مهمة هذا المركز تهتم اساسا بالمناطق التي كانت تابعة للامبراطورية البرتغالية فإن المشرفات على النشر اکتفن بإعطاء عناوين وارقام الوثائق المتعلقة بالتاريخ الداخلي للبرتغال ، ونشرن النصوص الكاملة للوثائق المتعلقة بالامبراطورية البرتغالية وبعلاقة البرتغال مع الدول الاوربية ومع البابوية .

وهكذا ، ومن مجموع حوالي ٧ آلاف وثيقة نشرت ، أصبح بإمكان الباحث استغلال الوثائق الموزعة جغرافيا كالتالي :

- المغرب : ١٧٤ وثيقة .

- تونس : وثيقتان تتعلقان بالهجوم الاسباني البرتغالي ضد هذه المدينة

سنة ٥٢٥ .

- الخليج العربي والبحر الاحمر : ٢٧ ، اغلبها محصور حول هرمز .

- الهند والشرق الاقصى : ٢٥٢ ، منها عدد كبير من الوثائق المتعلقة بالنزاع الاسباني البرتغالي .

- شرق افريقيا : ٦ وثائق

ورغم الخدمة التي يقدمها نشر هذه العدد الهائل من الوثائق ، فإن الشكل الذي تم به قلل كثيرا من فوائدها ذلك أنها نشرت بدون هوامش وتعليق وفهارس كما ان أكبر عيب يلاحظ على المشرفات على النشر هو سقوطهن في عدد كبير من الاخطاء عند تقديرهن لتواريخ الوثائق التي لا تحمل تاريخا . وكانت بعض الاخطاء فادحة . والغريب انه كان بإمكانهن تفادي الكثير منها بالرجوع الى عدد مهم من الدراسات والوثائق المنشورة . (أعطى لوثيقة تتعلق بحصار أسفي سنة ١٥٣٤ تاريخ ١٥٠١ ، (ج ١ ، ص ٥١) وارجع تاريخ وثيقة بعث بها قبطان أزموور الى الملك البرتغالي الى سنة ١٥٠٥ في حين ان المدينة لم تكن آنذاك محتلة !) .

ولهذا يتحتم على الباحث ان يحترس كثيرا من التواريخ المقترحة من طرف الناشرات ، وان يعود الى سلسلة المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب كلما تعلق الامر بوثائق تهم هذا البلد .

واحتوت الاجزاء الاثني عشر على وثائق جد مختلفة ، وبالنسبة للمخططات السياسية البرتغالية بالخليج العربي والبحر الاحمر، يستفيد الباحث من استغلال الوثائق التالية :

- رسالة بعث بها من مدينة (كوا) الهندية Bernandin De Sousa الى الملك البرتغالي (١٥٤٥/١١/٠٢) يخبره فيها بوصول اشاعات حول تنظيم العثمانيين لهجوم ضد هرمز انطلاقا من السويس وباسترجاعه لحصن القطيف (؟) Catifa الذي استولى عليه شيخ Mana التابع لملك الاحساء لكونه كان دوما تابعا لملك هرمز وذلك نزولا عند رغبة هذا الاخير (ج ١ ص ٩١٥ - ٩١٨) .

- تعيين الملك البرتغالي جوا الثالث للشاه محمد ابن الملك صفاء الدين آبندار خلفا لابيه كملك على هرمز - والوثيقة مؤرخة في ١٥١٩/٨/٢٣ (ج ١ - ٩٢٣ - ٩٢٥) .

- قسم الولاء للملك فليب الاول (الثاني بالنسبة لاسبانيا) الذي أداه شاه هرمز فرح شاه (Farracoxa) ووزيره شرف ، وذلك في ١٥٨١/١١/١٥ (ج ٣ ص ١٠٣ - ١٠٦) .

- رسالة من Joao De Arrias الى الملك البرتغالي جوا الثالث حول مداخل جمارك هرمز مؤرخة في ١٥٢٨/٧/١٠ (ج ٤ ص ٨٠ -

٨٤) . والتقارير يسلط الاضواء على الشهور التي تعرف أكبر رواج تجاري (أبريل ، مايو، يونيو) وعلى ما توفره المدينة من المداخل ، ذكر منها الضريبة المؤداة من هرمز ومداخل الجمارك التي قدرها بحوالي ٧٠ ألفا الى ٨٠ ألف شرفي (Xarafins) تؤديها عن سلعها السفن المقبلة من الهند وكنباي والقوافل التي يرسلها سنويا الشيخ اسماعيل (فارس) او تأتي من البصرة ، وكذا الضرائب المؤداة عن تجارة الخيول وكذا الغنائم البحرية التي يحصل عليها من مطاردة السفن الاسلامية اعتمادا على اسطول خاص بمراقبة الخليج مكون من ٢٢ مركبا تحمل على ظهرها ما بين ١١٠٠ و ١٢٠٠ جندي . وكانت قيمة تلك الغنائم البحرية خلال السنة التي يغطيها التقرير المذكور مبلغ ٢٠ ألفا أو ٢٥ ألف شرفي أي ما يمثل ٢٥ في المائة من قيمة ضرائب هرمز مما يؤكد ان التجارة العربية لم تتوقف رغم المضايقات البرتغالية . وبعد ان اشار محرر التقرير الى تعسفات المسؤولين البرتغاليين وطغيانهم الذي عبر عنه بما أجابه به وزير ملك هرمز انه ذكر انه ليس وزيرا ولكن صبيا ينفذ ما يؤمر به .. أكد على الاستفادة الكبرى التي يضمنها للبرتغال من تحكمه في هرمز (ج ص ٨٠ - ٨٤) .

- رسالة برتغالية غير مؤرخة من

الوزير ركن الدين ، وزير هرمز الى الملك شرف اطلعه فيها على الحرب التي اعلنها ابن راشد (Mening Ben Rasid) ملك الاحساء على والي البحرين ، وذلك رغم معارضة اعيان عاصمته ، وذكر صاحب الرسالة انه بالتحاق اولئك الاعيان بالبحرين تعذر على ملك الاحساء الهجوم عليها وأغار على البصرة حيث هزمت جيوشه ولم يتمكن من الفرار والنجاة الا بصعوبة ولما علم بوفاة والي البصرة - وهو أحد أقاربه - الذي كان يدين بالولاء للعثمانيين ومبايعة ابنه الذي لم يبلغ بعد سن الرشد ، هيا حملة جديدة ضد البصرة التي فتح له اعيانها الابواب وبايعوه سلطانا - واستغل والي البحرين انشغال ملك الاحساء وأغار على ميناء القطيف catifa وأحرق له ١٥٠ مركبا استولى عليها من بين مراكب ملك هرمز . ولما علم ملك الاحساء باحراق سفنه ، امر بالاستيلاء على سفن وسلع تجار البحرين المتواجدين بالبصرة . وسبب هذا غضب البصريين الذين طردوه من مدينتهم وعينوا شخصا آخر . و اشار صاحب الرسالة الى استعداد برتغالي هرمز لمد والي البحرين بمساعدة عسكرية وتفكيرهم في احتلال القطيف Catifa و اشار محرر الرسالة الى اهتمامه الكبير بارسال جواسيس الى السويس وعدن والى

اماكن اخرى للحصول على معلومات عن العثمانيين. (ج ٤ ص ٣٥٧ - ٣٥٩) .

- رسالة من أفونسو دي البوكيرك Afonso De Albuquerque نائب الملك بالهند الى الملك البرتغالي امنويل مؤرخة في ٣٠/١٠/١٥١٧ ، يخبره فيها برواج اشاعات حول تجهيز الاتراك لاسطول لتحسين مدخل البحر الاحمر وعدن وأكد على خطورة ذلك اذا ما تم فعلا ولهذا فإنه سيركس كل مجهوداته خلال السنة للحيلولة دون تحكم الاتراك في الموقعين المذكورين .

واحتوت الرسالة كذلك على اخبار تتعلق بالهند والشرق الاقصى. (ج ٤، ص ٤٨٢ - ٤٨٥) .

- رسالة من نائب الملك السابق بالهند الى الملك امنويل مؤرخة في ١٦/١٢/١٥١٢ يطلعه فيها على اوضاع الهند ويخبره بوصول مبعوث امبراطور الحبشة لعقد حلف ضد المسلمين ، ذلك الوصول الذي اعتبره صاحب الرسالة بداية تخريب «بيت مكة» الذي يبدو له سهل المنال لانها منطقة ضعيفة وقليلة المحاربين . (ج ٥ ص ٢٩٩ - ٣٠٢) .

- رسالة من قبطان هرمز Cristovao De Mendoca مؤرخة في ١١/٧/١٥٢٨ بعث بها الى الملك البرتغالي جوا الثالث لفصح طغيان

وتعسفات القبطان السابق التي شملت ملك الحصن ووزيره اللذين ابتز اموالهما بالاضافة الى اموال ومصالح التجار مما سبب خراب المدينة وركودها التجاري . وتحتوي الرسالة على اخبار تتعلق بالاوضاع داخل الخليج العربي: الحروب التي دارت بين الامراء والولاة ، ومحاولات والي البصرة انشاء اسطول خاص به ، وخطر ذلك على هرمز - وذلك رغم ان الوالي كان يدعي ولاءه للبرتغاليين وألح على ضرورة الحيلولة دون تقوية نفوذ الوالي المذكور وخروج البصرة من فلك هرمز نظرا للاهمية الاقتصادية التي تكتسبها بالنسبة اليها . (تزودها بالمواد الغذائية وخصوصا بالقمح والمواد الدهنية وتوزع سلع الشرق الاقصى على الجزيرة العربية والشام) راجع ج ٥ ص ١٠٨ - ١١٦ .

- رسالة من ملك هرمز ، محمد شاه (Mamaza) الى جوا الثالث (١٥٢٨/٧/١٣) يفصح فيها طغيان القبطان السابق ويشيد بخصال خلفه . وطلب الملك من العاهل البرتغالي اعتبار تراجع مداخيل هرمز والتخفيض من الضريبة المؤداة سنويا (ج ٥ ص ١١٦ - ١١٨) .
- رسالة من قاضي هرمز الى الملك البرتغالي مؤرخة في ١٥٥٠/١١/٢٤ يخبره فيها ان نائب الملك بالهند حرم

على جميع التجار ومهما كانت جنسياتهم ان يلتحقوا بالبصرة ، وهدد من فعل ذلك بعقاب شديد وبالاسر .. الشيء الذي جدد العمل به القبطان الحالي الذي اعلن حالة الحصار ضد البصرة ومقاطعتها تجاريا . ولكن هذه المقاطعة لم تعط نتائجها لاستمرار التجار في الاقبال على البصرة من البحرين . وذكر صاحب التقرير ان اشاعات تروج بهرمز عن تفكير البصريين في احتلال القطيف Catifa بالبحرين ، الشيء الذي تؤكد الوثيقة التالية (ج ٥ ص ٣٨ - ٤٠) .

- خطاب من افونسودو البكيرك (نائب الملك بالهند ، وابن الشخصية التي كانت تحمل نفس الاسم وكلفت بنفس المهمة والتي سبقت الاشارة اليها مرتين ، رقم ٦ و٧) الى جوا الثالث (١٥٥٢/١/٢٧) يخبره فيها باسترجاع حصن القطيف Catifa الذي سبق ان استولى عليه الاتراك وبتحطيم الحصن الذي شيدهوه بجزيرة Moizy ورد محرر الرسالة هذا المد العثماني بالخليج الى الطغيان الذي فرضه القباطنة على ملوك المنطقة الشيء الذي حدا بأشراف المنطقة الى تسليمها للاتراك كما فعلوا ويريدون فعله بالبحرين .. (ج ٥ ص ٣٢٥ - ٣٢٨) .

- تقرير مهم جدا ارسله الى الملك

البرتغالي (١١/١٢/١٥٦٣) برتغالي
كلف بمهمة مرافقة مبعوث باشا
البصرة خلال تنقلاته بين هرمز والهند
والبصرة قصد التفاوض معهم .
والتقرير يتعلق بأوضاع مدينة
البصرة الطبغرافية (موقعها، مصب
النهر، جزيرة (Morzique) وباسوارها
ومواقع ابوابها وبالقوة العسكرية
المتوفرة عليها (الاسلحة ، الحامية ،
الاسطول) وبأوضاعها الاقتصادية
(رفاهية سكانها ورواج تجارتها) .
واهم ما يثير انتباه قارئ التقرير هو
ان محرره ارسل خصيصا لهذه الغاية
وان المعلومات التي عمل على الحصول
عليها كانت تتعلق بمشروع هجوم
برتغالي على المدينة ذلك انه اولى
اهتماما خاصا لاماكن انزال الجنود
ونقط الضعف في تحصينات ووسائل
الدفاع المتوفرة (ج ١٣٧٥ - ١٤٣) .
- تقرير بعث به قبطان هرمز الى الملك
البرتغالي (١٣/٩/١٥٢٩) يتعلق
بالاوضاع داخل الخليج العربي
وساحل عدن . ففيما يخص المنطقة
الاولى اشار الى فشل هجوم برتغالي
ضد البحرين التي اعلن واليها
عصيانه ملك هرمز .

وأعطى صاحب التقرير معلومات
عن محاولات الاتراك الاستيلاء على
عدن واخبر الملك باعلانه الحرب على
البصريين لرفض حكامهم اعادة
المراكب التابعة لهرمز التي استولوا

عليها . وفي نهاية التقرير أكد القبطان
كثيرا على الفوائد الكبرى التي تحصل
عليها البرتغال من تحكمه في هرمز
وذلك لسببين: تجاري (يفد عليها
التجار الايطاليون ، الارمنيون ،
اليهود .. فضلا عن العرب والفرس)
واستراتيجي يجعلها في مرتبة جزيرة
رودس بالبحر المتوسط (ج ١٠ ص
٢٥٤ - ٢٥٨) .

- رسالة وصلت الى الملك البرتغالي من
برتغالي كان مقيما بالبندقية (مؤرخة
في ٢٤/١١/١٥٣١) أخبره فيها
بمحاولة العثمانيين الجادة لانشاء
اسطول بالسويس وبالمشاكل التي
يواجهونها في ذلك (الاشرة والمدافع
ترسل من القسطنطينية ، الاخشاب
من لبنان اعتمادا على اسطول خاص
ينزلها بمينائي الاسكندرية ورشيد
حيث تحملها ٤٠٠٠ جمل الى
السويس) وتشير الرسالة كذلك الى
الحراسة البحرية البرتغالية المشددة
عند مدخل البحر الاحمر والى استيلاء
البرتغاليين على مركبين بميناء
(Outor) . وجاء في هذه الرسالة ان
احد تجار مكة وصل مؤخرا الى
البندقية ! (ج ١٠ ص ٦١٧ - ٦٢٠) .
- رسالة من فرانسيسكو سلفريش الى
الملك البرتغالي (١٤/١/١٥٣٥) هي
عبارة عن نسخة من الرسالة التي
بعث بها الى نائب الملك بالهند يخبره
فيها بوفاة ملك هرمز . وورد في هذه

الرسالة اشارة مهمة تتعلق باستمرار السفن العربية في التزود بالتوابل رغم مجهودات البرتغاليين للحيلولة دون ذلك . (ج ١٠ ص ٧٣ - ٨٩) .

- رسالة بعث بها الملك امنويل البرتغالي الى أسقف براغا (١٥٠٨/٨/١٦) يبشره فيها بالانتصارات والمكتسبات التي حققها البرتغاليون بشرق افريقيا والشرق العربي وحرمان التجار العرب من ارباح تجارة الهند والشرق الاقصى . وهذه الرسالة مهمة جدا بالنسبة لمتتبع اسباب ودوافع المد البرتغالي على حساب العالم العربي ، ذلك انها تغطي الاسباب الحقيقية (الربح واحتكار التجارة) وتؤكد على اولوية العامل الديني ، وتعطي للتوسع بالشرق صبغة صليبية محضة . (ج ١٢ ص ٢٣٧ - ٢٤٢) .

ومن الوثائق التي يمكن للباحث الاستفادة منها وثائق التشريفات الملكية البرتغالية - Livros Das Chancas Reais لتوفر عشرات الكتب الضخمة المتعلقة بالملوك الذين عاصروا التوسع البرتغالي من انطلاقته الناجحة الى بداية تراجعه . اي من عهد الملك جوا الاول الى دون اسبستيان^(٤) وهذه الكتب مرتبة حسب اسماء الملوك ، واثيانا حسب المناطق (الجزر ، غواديانا ..) ولاستغلالها بسهولة أعدت فهرس

مرتبة حسب اسماء الاعلام واخرى حسب اسماء الاماكن . ونظرا لصعوبة قراءة وثائق هذه الكتب ، أعيدت كتابة بعضها خلال القرن الماضي والحقت بكتب تسمى «القراءة الجديدة» (Leitura Nova) . وتعلق هذه الكتب بالقوانين والتعيينات والعطاءات التي خص بها الملوك بعض الافراد .

ونشر من هذه الوثائق قسم مما يتعلق بالغزو البرتغالي لسواحل المغرب الاقصى ، ففي سنة ١٩١٥ نشر الباحث البرتغالي ازفيدو بأمر من اكاديمية العلوم البرتغالية التي برمجت نشر عدد كبير من المصادر والوثائق المتعلقة بالغزو البرتغالي للمغرب وذلك بمناسبة الذكرى المئوية الخامسة لاحتلال سبتة (١٤١٥) ، نشر في مجلدين ضخمين وثائق تشريفات الملوك (جوا الاول ، ودون ادوارد ، والفونس الخامس^(٥)) .

وفي سنة ١٩٤٣ ، وبأمر من نفس الاكاديمية ، نشر الباحثان البرتغاليان (كويليو ولوبش) وثائق كتب تشريفات الملك (جوا السادس^(٦))

وتسمح هذه الوثائق المنشورة أو التي لم تعرف النشر حتى الآن ، بدراسة الغزو البرتغالي لسواحل العالم العربي بتسليطها الاضواء على الجوانب التالية :
- تعيينات المسؤولين العسكريين

والاداريين والماليين والدينيين العاملين بالثغور المحتلة . وتساهم هذه الوثائق في تتبع خصائص النظام المتبع بثغرها (حماية ، احتلال عسكري وتسيير مباشر) . وفي تحديد الفئات الاجتماعية المستفيدة من التوسع البرتغالي وتساهم أيضا في تحديد مدى استفادة البرتغال من ثغرها وذلك بالوقوف على تلك المناصب المذكورة .

- مختلف العطاءات والاقطاعات التي أغدقتها الدولة على النبلاء لدفعهم الى المساهمة في المجهود العسكري . فاستغلال وثيقة تتعلق باقطاع منطقة أو مدينة أو تنازل الملك للمستفيد عن ضرائب ثغر أو منطقة يسمح بأخذ فكرة عن النظام الجبائي المستحدث هناك وربما مكن من أخذ فكرة عن معطياتها الاقتصادية أو عن مدى انتظام الاداءات بها . (مما يسمح بدوره بأخذ فكرة عن مدى تحكم البرتغاليين في المنطقة) .

- تنازلات قضائية لفائدة مجرمين مقابل الخدمة العسكرية بالثغور أو المساهمة في حملة من الحملات المنظمة ضد المغرب . وتغلب هذه الوثائق على ما نشره أزفيدو .

- ولعل أهم مساهمة تقدمها كتب التشرifications الملكية تكمن في احتوائها على وثائق جد مهمة تعرف « Cartas de Quitacao » أى الايصالات أو رسائل

ابراء الذمة التي كانت تسلم لثلاثة أنواع من الموظفين : لوكيل الملك التجاري (الفيطور Feitor) ، للمسئول عن التموين بالمدينة (المشرف Almoxarife) ، وأخيرا للمحاسب (الكنتدور) . ولهذا تختلف هذه الوثائق من ناحية نوعية الاشياء المذكورة فيها . وما اذا كان الايصال يبرئ ذمة مشرف طغت عليه المواد الغذائية والأسلحة والذخيرة أو اذا سلم لوكيل تجاري طغت عليه السلع المستوردة والمصدرة .

ورغم ان هذه الايصالات تختلف من ناحية الطول ومن ناحية غزارة المادة ، فانها تخضع مع ذلك لتصميم موحد . فهي تبدأ بذكر الأمر الملكي بمراجعة حسابات المعني بالأمر ، واسم الشخص الذي كلف بذلك ، ثم تذكر نوع المهمة التي كانت منوطة به وتاريخ بدايتها ونهايتها والمكان الذي عمل به . يلي هذا سرد كل السلع والاموال والاشياء الاخرى التي توصل بها خلال قيامه بمهمته وأسماء الاشخاص والمؤسسات التي سلمته شيئا ما . وينتهي الايصال بتبرئة ذمة المعني بالأمر وبذكر تاريخ ومكان تحرير الوثيقة . واسم الذى قام بذلك .

وتسمح هذه الوثائق بأخذ فكرة عن المبادلات التجارية التي كانت تعرفها الثغور المحتلة . وعن السلع المتبادلة

وتطور العرض والطلب عليها وتتبع أثمانها وبالتالي تحديد ما اذا كانت البرتغال قد استفادت من احتلال ثغر ما . ولكن هذه الايصالات لا تهتم مع الأسف الا بتجارة الملك ولا تشير قط الى أنشطة التجار الاحرار . كما ان نوعا آخر من هذه الوثائق يسلط الاضواء على المصاريف التي تتحملها البرتغال بسبب تحصين بعض الثغور أو الدفاع عنها .

وقام الباحث البرتغالي Braamcap de Freire بنشر كل ايصالات فترة حكم الملك امنويل (١٤٩٤ - ١٥٢١) وذلك بمجلة «Portugues Arquivo Historico» في أعدادها العشرة (١٩٠٣ - ١٩١٠) . وكان منها ٧٢ ايصالا تتعلق بالمغرب و١٤ بالهند ، و١٩ بغرب أفريقيا المصدرة للتبر والعبيد (مركزي أرغيس بالساحل الموريتاني ولامينا بساحل الذهب) و٦ بآفريقيا الشرقية و٢٣ بمصلحتي دار غينيا ودار الهند المركزيتين . وكان من هذه الايصالات المنشورة واحد يتعلق بمصاريف الاسطول الذي وجه سنة ١٥٢٠ لمراقبة مدخل البحر الأحمر .

ونشر الباحث أزفيدو في مؤلفه السابق الذكر ١٩ ايصالا في حين أدرج (كويليو ولوبش) في مؤلفهما ايصالين متعلقين بالمغرب .

واستطعت بعد الاطلاع على كل كتب تشريفات الملك جوا الثالث

(حوالي سبعين كتابا) الوقوف على ٣١ ايصالا تتعلق بالثغور المغربية .
واذا كانت هذه الوثائق تسلط الاضواء على الانشطة التجارية والمصاريف . فان وثائق اخرى تكملها كمحاضر محاكم التفتيش المتعلقة بالتهريب التي ساعدت اليها وكتقارير ومراسلات الوكلاء التجاريين والمالين بالثغور المرتبة بالارشيف الوطني مع مجموعة وثائق Corpo Cronologmco .

وهناك وثائق اخرى مرتبة بالارشيف الوطني تحت اسم Nucleo Antigo لم تعرف حتى ساعة كتابة هذا البحث . ومن حسن حظ الباحث توفر فهارس تسهل معرفة نوعية مواضيع تلك الوثائق . هذا ، وسبق لي استغلال عدد مهم من وثائق هذه المجموعة التي تغلب عليها الوثائق ذات الطابع المالي (الرواتب والمعاشات المؤداة للجنود العاملين بالثغور المحتلة) والجبائي . كما توجد من بينها سجلات قضاة الثغور سجلت فيها المنازعات والخلافات التي وقعت بين أفراد الجالية البرتغالية .

ومن أهم وثائق هذه المجموعة تلك التي تتعلق بالضرائب ففيما يخص الجمركية منها استطعت الوقوف على سجل للضرائب المؤداة عن صيد سمك الشابل بأزمور (١٥٢٦م)^(٧) وقائمة الاعشار التي دخلت ميناء

أميلا بشمال المغرب ما بين ١٥١٠/١١/٧ و ١٥١١/١٢/١٩م مما يعطى فكرة دقيقة عن أنواع السلع المروجة هناك ^(٨) وكتب سلمي منذ أربع سنوات إننى أول مستغل لسجل مهم جدا يتعلق بالضرائب التي كانت قبائل دكالة والشيظامة تؤديها للملك البرتغالي ما بين ١٥١٠ و ١٥١٢م . وهو سجل من ٤٤ ورقة يحمل العنوان التالي : «سجل الضرائب الملكية المتعلقة بأعراب وبرابرة المدينة المغربية وكل دكالة وبلاد الشيظامة مع حصونها التي كانوا يؤدونها للملك هذه المملكة ابتداء من سنة ١٥١٠ الى ١٥١٢م» ^(٩) ومن مزايا هذا السجل انه يسد عددا من الثغرات التي تركتها الوثائق المتوفرة لدينا خصوصا فيما يخص مراحل التوسع البرتغالي داخل دكالة ، هذا بالاضافة الى تزويدنا بأسماء القبائل وفروعها . وبمعلومات قيمة عن بعض المكاييل التي لم تكن الوثائق الاخرى تسمح بتحديدتها بدقة .

ورببت وثائق اخرى بالارشيف الوطني تحت العنوان التالي : «رسائل قباطنة أفريقيا (Cartas dos Governadores da Africa)» . ولم تنشر منها حتى الآن الا رسائل قليلة ضمن مجموعة «المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب» . وفيما يخص رسائل نواب الملك بالهند . نشرت

بمبادرة من الاكاديمية الملكية للعلوم بلشبونة في نهاية القرن الماضي رسائل ثاني وال على الهند وأشهرهم (أفونسو دو البكيرك) مع وثائق اخرى تساعد على فهمها . وتم ذلك في سبعة أجزاء أعطى لها العنوان التالي : «رسائل أفونسو دو البكيرك تليها وثائق تساعد على فهمها» .

Cartas de Affonso de Albuquerque seguidas de documentos que as elucidam . وصدر الجزء الاول سنة ١٨٨٤م .

وتتعلق مواضيع هذه الرسائل التي بعث بجلها الى الملك أمنويل بمجهوداته لتحقيق المخططات البرتغالية التي كانت تهدف قبل كل شىء الى الحيلولة دون استمرار تعامل العرب مع شرق أفريقيا والهند وللحلول محلهم كمزود لأوروبا بالتوابل والعقاقير وغيرهما من سلع الشرق الاقصى . وهكذا كان اغلاق الخليج العربي وخصوصا البحر الاحمر في وجه الملاحة العربية من أهم التعليمات التي أعطيت له وأهم ما حاول صاحب هذه الرسائل انجازه . وفيما يلي كمثال بعض الوثائق

الواردة في الجزء الاول :

- رسالة مؤرخة في ١٥٠٨/٢/٢ بعث بها الى الملك من هرمز يشتكى فيها من فرار عدد من قباطنة السفن حينما كان محاصرا هرمز الشىء الذي حال

دون اتمام التحصينات التي شرع فيها بالجزيرة المذكورة . (ص ٦) .
وتجدر الإشارة الى ان (البكيرك) لم يكن آنذاك الا مجرد رئيس لأحد الاساطيل الموجهة للشرق .

- رسائل حررها على ظهر سفينته في ١٥٠٨/٢/٦م أخبر فيها الملك بظروف احتلال هرمز وبقبول ملكها الدخول تحت الحماية البرتغالية وأداء ضريبة سنوية .

- رسالة الى الملك مؤرخة في ١٥٠٨/٢/١٥م يطلعه فيها على فرار بعض المسيحيين الى هرمز وعلى استمرار هذه الأخيرة في أداء الضرائب وعلى ما تعرفه من رواج تجاري . (ص ١٧) .

- رسالة مؤرخة في ١٥١٠/١٠/١٧م بعث بها الى الملك يخبره بعزمه على احتلال جزيرة (كوا) نظرا لاهميتها بالنسبة للمكتسبات البرتغالية بالهند وعلى عزمه على الالتحاق فور ذلك بالبحر الأحمر . (ص ٢١) .

- رسالة بعث بها الى الملك من (كشين) بتاريخ ١٥٢١/٨/٢٠م يخبره فيها انه أرسل ثلاث سفن لتحطيم حصن «سقطري (?) Socotora» وللتوصل بضرائب هرمز وأنها التحقت بعد ذلك بالبحر الاحمر كما كان مقررا لايكاف التجارة بزيلع وبربرة . (ص ٧٥) .

- رسالة حررها خلال رحلة الى (كوا) في ١٥١٢/١٠/٣٠م وبعث بها الى الملك

يطلعه فيها على أخبار عدن وعلى الاشاعات المتعلقة بقرب تحرك أسطول المماليك نحو مدخل البحر الأحمر . (ص ٩٥) .

- رسالة محررة من كنكور بالهند يوم ١٥١٣/١١/٣٠ أرسلها الى الملك يخبره بعزمه على الالتحاق بالبحر الاحمر والهجوم على السويس لاحتراق السفن الراسية هناك . وذلك فور الانتهاء من تشييد حصن (ديو) و(كلكتا) . ص ١٢٥ .

- رسالة بعث بها من نفس المكان الى الملك (١٥١٣/١٢/١) يطلعه على نوع السفن الواجب استعمالها بالبحر الأحمر في حالة السيطرة عليه . وجاء في الرسالة معلومات عن مناطق ساحلي البحر الاحمر . (ص ١٦٧) .

- رسالة من نفس الحصن بتاريخ ١٥١٣/١٢/٢م أخبر بواسطتها الملك عن الغنائم التي حصل عليها البرتغاليون بعد أغارتهم على السفن بالبحر الاحمر . (ص ١٨٠) .

- رسالة الى الملك (١٥١٣/١٢/٤) يطلعه فيها على الهجوم على عدن مرتين وعلى دخول الاسطول البرتغالي الى مضيق مكة . (ص ١٩٩) .

- رسالة الى الملك مؤرخة في ١٥١٣/١٢/١٥ يطلب فيها منه ارسال السلع ليتمكن من أداء الرواتب ويذكره انه لا يتوفر على موارد استثنائية غير ما يحصل عليه من

غنائم نتيجة الحروب بعدن والبحر الاحمر . (ص ٢٤٣) .

- رسالة مؤرخة في ١٥١٤/١٠/٢٠ يجيب فيها الملك على التوصيات التي أعطيت له لاحتلال البحرين (ص ٢٦٤) .

- رسالة مؤرخة في ١٥١٤/١٠/٢٠ الى الملك تتعلق بمشاريع عسكرية بالبحر الاحمر وتعرض في هذه الرسالة للطريقة التي يمكن بها احتلال عدن وأوصى بعدم تحصين مدخل البحر الاحمر وأشار الى مينائى زيلع و«بربرة» ، وأعطى أخبارا عن جزر القمر . وفي الأخير أوصى بالاعتماد على ميناء مصوع بأثيوبيا للتمكن من مراقبة جدة ومكة . (ص ٢٧٨ وما بعدها) .

- رسالة مؤرخة في ١٥١٤/١٠/٢٣ بعث بها الى الملك يخبره فيها بأنه أمر بصنع سفن تتلاءم وظروف الملاحة بالبحر الاحمر لاستعمالها هناك في حالة التحكم فيه . (ص ٢٩٥) .

- رسالة أخرى مؤرخة في ١٥١٤/١٠/٢٥ يطلع فيها الملك على مشاريع تتعلق بالبحر الاحمر . (ص ٣٢٥) .

- رسالة مؤرخة في ١٥١٥/٩/٢٢ بعث بها الى الملك البرتغالي من هرمز يعرض فيها الاسباب التي كانت وراء اعطائه الاولوية لهرمز منها ما توفره من مداخل وحمايتها للمصالح

البرتغالية بالهند ، ووعد بالاهتمام بمشكلة البحر الاحمر فور إحكام السيطرة على هرمز . وأشار الى الوفود التي أرسلها ملك الاحساء وأحد ولاة الشيخ اسماعيل (فارس) لتحيته ولتسليمه هدايا . واعتذر عن عدم تمكنه من اعطاء معلومات عن القطيف وعن البصرة ، وأكد كثيرا على الاهمية الاستراتيجية للبحرين . وفي الختام ذكر أن هرمز تمكن من التحكم في تجارة الخيول ببلاد فارس وبالجيزة العربية وذلك قبل أن ينتقل الى وصف الحصن الذي شيد بهرمز . (ص ٣٦٩ وما بعدها) .

- وفي رسالة غير مؤرخة أخبر الملك باستيلاء البرتغاليين على عدد من «مراكب القاهرة» كانت تقوم بتهريب السلع بالسواحل الهندية . (ص ٣٨٦) الخ .

ومن الوثائق التي يمكن للباحث أن يعتمد عليها ، محاضر محاكم التفتيش الدينية . ورغم فقدان عدد كبير من تلك المحاضر ، فقد وصلنا ما يقرب من ٤٠ ألف محضر تغطي محاكمات تمت ما بين ١٥٣٦ ، سنة بداية العمل بتلك المحاكم ، و١٨٢١ ، سنة اغلاقها نهائيا . وهذه المحاضر موزعة بين ٣ محاكم على الشكل التالي :

- محكمة لشبونة : ١٧٩٧٧ محضرا .

- محكمة يابره : ١١٧٤٣ محضرا .

- محكمة كوينبرا : ١٠٢٥٨
محضرا .

وبالاضافة الى هذه المحاضر ،
وصلتنا عشرات الكتب التي حررت
فيها الاعترافات أو التبليغات التي
توصلت اليها المحكمة . وهي مرتبة
كالتالي :

- سجلات التبليغات (Livros das
denuncias) التي تتعلق بالمحاكم
الثلاث .

- سجلات الاعترافات (Livros das
confessoes) .

- سجلات المحامي المراقب (وكيل
النيابة) (Cadernos do Promotor
fiscal) .

- سجلات الزيارات (livros das
Visitacoes) وهي دفاتر يسجل فيها
القضاة التبليغات والاعترافات التي
توصلوا بها خلال زيارتهم لمنطقة
معينة .

- سجلات خاصة بجريمة اللواط^(١١) .
Livros do pexado nefan do

ولكن الباحث المهتم بالعالم العربي
لا يستفيد الا من نسبة ضئيلة من
وثائق ومصادر هذه المحاكم لان
البرتغال لم يعرف - كجارتها أسبانيا -
جالية مورسكية مهمة بقيت مدة طويلة
متمسكة بأرضها ، وفي نفس الوقت ،
بثقافتها وعقيدتها التي استمرت - ولو
سريا - في اتباعها رغم تنصرها
السطحي .. ومن جهة اخرى يمتاز

المشكل المورسكي بالبرتغال
بخصائص تميزه عما كان موجودا
باسبانيا .

فبعد بحث بالارشيف الوطني دام
ما يقرب من السنتين ، لم أعر ، ولم
أعلم ان أحدا عثر على محضر محاكمة
مورسكي برتغالي الاصل منحدر من
الجالية المسلمة التي أرغمها قرار
الملك أمنويل على التنصر أو مغادرة
البلاد (١٤٩٧) . وهنا يكمن حظ
المؤرخ للغزو البرتغالي للسواحل
العربية الاسلامية . ذلك ان محاضر
محاكمة مورسكي البرتغال تتعلق
بأفراد تم ادخالهم الى البرتغال
كأسرى وعبيد إما من دول المغرب
العربي أو من غرب أفريقيا أو من
الهند أو من الخليج العربي أو كانوا
أسرى أتركا . وكانت المحاضر التي
استطعت اكتشافها من بين تلك
الاعداد الهائلة من المحاضر التي لا
تتوفر على فهارس^(١٢) موزعة كالتالي :

- المغاربة : ٢٤٤ .

- الجزائريون : ٦

- التونسيون : ٥

- الأتراك ٢٣ منهم ٣ مصريين
وبصريين وهرمزي .

- السودانيون (غرب أفريقيا) : ١٦ .
- الهنود المسلمون : ٣٤ .

- مورسكيون لم تحدد مناطقهم
الاصلية : ١٥ .

وتقدم دراسة واستغلال وثائق

(الانكشارية العثمانية) أو استمروا في تمسكهم بدينهم رغم تنصرهم أو تأكد للمحكمة إعدادهم للفرار للالتحاق بالبلاد الاسلامية وخصوصا المغرب^(١٢) .

وهذا النوع الثالث من المحاضر يسمح للمؤرخ بتتبع تصدى العالم الاسلامي للمخططات البرتغالية الرامية الى تطويقه والتقليل من موارده وذلك تحضيرا للاستيلاء عليه . ولقد سبق لى خلال مؤتمر نظم ببغداد حول تاريخ العرب العسكري (٢٢ - ٢٦ ايلول ١٩٨١م) التعريف ببعض مساهمات هذه المحاضر في تحديد خصائص رد الفعل الاسلامي على تلك المخططات^(١٣) .

وهكذا تتجلى بوضوح أهمية هذه الوثائق البرتغالية ذلك أنها توفر للباحث فرصة دراسة مرحلة من أخطر مراحل تاريخ عالمنا العربي التي لا تسمح وثائقنا ومصادرنا بدراستها كما يتجلى ذلك من خلال الوثائق الكثيرة والمهمة التي وصلتنا عن معركة وادي المخازن مثلا أو عن المخططات البرتغالية بالخليج العربي والبحر الأحمر .

وتوفر هذه الوثائق للباحث فرصة القيام بدراسة شاملة لأي موضوع يتعلق بالتوسع البرتغالي اذ تسمح في نفس الوقت بتتبع امكانات وأوضاع كل من البرتغال والعالم العربى ، وفي

محاكم التفتيش خدمة كبرى لمؤرخ الغزو البرتغالي لسواحل العالم العربي والاسلامي وردود الفعل التي تولدت عنه وخصوصا بالنسبة لمؤرخ نتائج الفكرية والدينية ذلك ان هؤلاء المسلمين الذين ادخلوا الى البرتغال وأرغموا على التنصروكموا ليس فقط لتمسكهم بدينهم الاصلي ولكن كذلك لاستمرارهم في العيش حسب عادات وتقاليد بلدانهم الشيء الذى يسمح بتحديد العقليات وخصائص الثقافة - بمفهومها الواسع - داخل تلك البلدان . والمحاضر المتعلقة بالعالم الاسلامي تتكون من ثلاثة أنواع متميزة :

١ - محاضر تسلط الاضواء على محاكمة مورسكيين لتمسكهم بعقيدتهم وثقافتهم .

٢ - محاضر محاكمة مهريين برتغاليين تم القاء القبض عليهم لاستمرارهم في التبادل التجاري مع المغاربة رغم تحريم الملك البرتغالي لذلك أثر اضطراره الى التخلي عن عدد من الثغور المغربية أو لتسهيلهم فرار المورسكيين بجعل مراكبهم رهن إشارتهم مقابل مبالغ مالية مهمة .

- محاضر محاكمة بعض المجاهدين البحريين الذين تم أسرهم خلال غاراتهم على السفن والسواحل البرتغالية والذين تبين للمحكمة انهم منحدرين من أصل مسيحي

نفس الوقت تمكن من ربط تلك المخططات ، ليس فقط بالطريقتين السياسية والاقتصادية للطرفين ، ولكن كذلك الدولية كالنزاع الاسباني - البرتغالي حول مناطق النفوذ بالمغرب العربي والشرق الاقصى مثلا ، ودور البابوية في خلق الوفاق بينهما ، أو محاولات الدول الأوروبية الأخرى كفرنسا وهولندا وانجلترا افشال نظام الاحتكار الذي فرضه البرتغاليون .. الخ ..

ولكن كثرة ما توصلنا اليه من وثائق برتغالية لا تمنع الباحث من الأسف على ضياع عدد كبير من المراسلات والتقارير مما جعل معلوماتنا عن بعض الأحداث تبقى ناقصة كما هو الشأن مثلا بالنسبة لسنة احتلال واخلاء أسفى المغربية . وهذا الضياع يحتم أحيانا اللجوء الى بعض المصادر التي عاين مؤلفوها الأحداث أو استغلوا بعض تلك الوثائق الضائعة . ويستفيد الباحث كثيرا من استغلال ثلاثة مصادر برتغالية متعلقة بالمغرب الأقصى ومصدرين متعلقين بالشرق العربي ^(١٤) .

هذا ، وتلزم هذه الوثائق الباحث ، فضلا عما هو ملزم به ازاء أية وثيقة أو مصدر . تلزمه بالتسلح بحيلة خاصة تفاديا لما وقع فيه بعض المؤرخين الأجانب من أخطاء وذلك للأسباب التالية : احتواؤها على عيوب كل ما

يكتبه الأجانب عن بلاد غير بلادهم خصوصا اذا كانوا يكونون لها العداء . فبالاضافة الى ما تزخر به الوثائق البرتغالية من احكام القيمة التي استهدفت عقيدة ونظم البلاد الاسلامية ، لا تسجل هذه الوثائق الا ما يثير استغراب محرريها أو ما يعبر عن اهتماماتهم أو ما كانوا يعتبرونه فخرا لبلادهم كالاتناب في الحديث عن الانتصارات والسكوت عن الهزائم . وللوصول الى هذا الهدف الأخير لم يتردد بعض محرري تلك الوثائق في الكذب وتزييف الحقائق . ويمكننا المثالان التاليان من أخذ فكرة عن بعض عيوب تلك الوثائق .

١ - اذا كانت مساهمة الايصالات السابقة الذكر مهمة في التعريف بالتجارة الملكية البرتغالية في بعض الثغور ، فانها تسكت عن نشاطات التجار الأحرار الشيء الذي يحرمنا من معلومات واشارات قد تساهم في التعريف باهتمامات مخالفة لاهتمامات الملك وبالتالي الالمام بكل جوانب التجارة البرتغالية بالثغور المغربية . كما ان هذه الوثائق ، وكذا تقارير الوكلاء التجاريين والماليين ... لا تهتم الا بالمناطق الساحلية وأنواع معينة من المنتجات الشيء الذي لا يسمح بتاتا بتسليط الضوء على أوضاع البلاد الاقتصادية كلها .

٢ - أوقعت هذه الوثائق عددا من

المؤرخين الأجانب في أخطاء فادحة .
فمنهم من أخذ ما تزخر به تلك الوثائق
من مشاريع ومخططات وكذب كحقيقة
ونسب للتوسع البرتغالي مخططات
وأحيانا مكتسبات لم تكن امكانات
البرتغال المالية والبشرية تسمح بها
ويمكن اعطاء مقالة للباحث (سنفال)
السابق الذكر كمثال على هذا ^(١٥) .

كما ان عددا من المؤرخين الأجانب
كرروا بدون تمحيص التبريرات
الواردة بالوثائق البرتغالية عن أسباب
تراجع النفوذ البرتغالي بالمغرب ولم
يأخذوا قط بعين الاعتبار رفض
المغاربة الرضوخ لمشينة البرتغاليين
وضرب حصار شبه مستمر على
قلاعهم . وهكذا برروا ذلك التراجع
بتفضيل البرتغاليين الهند والبرازيل
على المغرب الذى لم يكن - في رأيهم -
يسمح بأرباح ولم يكن يتوفر على
موانىء جيدة ^(١٦) !!

ورغم كل هذه العيوب ، يمكن لهذه
الوثائق ، اذا ما استعملت مع الحيطة
اللازمة ، أن تسد الكثير من الثغرات
التي تركتها مصادرنا العربية ، وأن
توفر المادة الضرورية لدراسة جوانب
مهمة من تاريخ الغزو البرتغالي
ومخططاته على حساب العالم
الاسلامى . ويمكن اعطاء الأمثلة
التالية عن مساهمات تلك الوثائق في
دراسة بعض المواضيع المهمة :
١ - الدوافع التى حدت

بالبرتغاليين الى اكتساح مناطق النفوذ
الاسلامى وتحديد مكانة كل واحد من
تلك الدوافع لفهم أسباب اصرار
البرتغاليين على تنفيذ مخططاتهم .

- **العوامل الدينية :** هل كان
اكتساح البرتغاليين للأراضى
الاسلامية استمرارية للحروب
الصليبية ضد الاسلام بايبيريا ؟ وفي
ما يلي أنواع الوثائق التى يمكن
استغلالها لدراسة هذا الموضوع .

القرارات البابوية (Les Bulles
pontificales) التى كانت تمنح للملوك
البرتغاليين امتيازات مالية وجبائية
مهمة جدا قصد تشجيعهم على
الاستمرار في محاربة الاسلام
والمسلمين وغزو أراضيه . ويمكن
للباحث الرجوع الى آخر عمل
أنجز حول هذه القرارات على يد
الراهب البلجيكي Ch. Writte الذى
جمع ودرس ٦٧ قرارا بابويا متعلقا
بالحروب البرتغالية التى دارت
بالمغرب ودور البابوية في توفير
شروط النجاح لها ^(١٧) .

ويمكن الرجوع كذلك الى بعض
المراسلات التى تبودلت ما بين الملك
وبعض المسؤولين السياسيين
والدينيين . ويمكن أخذ فكرة عن مدى
طغيان الروح الدينية على تلك
المراسلات ومدى صدق محرريها
بالرجوع الى رسالة الملك البرتغالى
امنويل الى اسقف (براغا) السابقة

الذكر، وإلى الرسائل التي بعث بها الملك البرتغالي إلى بعض كبار المسؤولين السياسيين والدينيين سنة ١٥٣٤ حول مشروع اخلاء أسفى وأزمور وأجوبة بعضهم (١٨).

- الدوافع الاقتصادية :

إن الوقوف على وثائق برتغالية جديدة، واخضاع الوثائق ذات الطابع الديني للنقد والتحليل جعل عددا من المؤرخين يتخلون عن اعطاء الأولوية للعامل الديني. فإذا اعترفوا بوجود هذا الدافع، فإنهم أكدوا مع ذلك طغيان العوامل الاقتصادية خصوصا بعد الوصول إلى المراكز التجارية بغرب إفريقيا ونجاح (دوجاما V. De Gama) في ربط لشبونة بالهند اعتمادا على طريق رأس الرجاء الصالح البحرية وذلك رغم احتفاظ الملوك البرتغاليين بشعار الحرب الصليبية لدفع البرتغاليين إلى المساهمة في المجهود العسكري وتحمل تكاليفه وتضحياته، وللحصول على مساعدة البابوية المهمة.

وبالإضافة إلى تسليطها الأضواء على دوافع الغزو، تمكن هذه الوثائق كذلك من تتبع مدى استفادة البرتغال من تحكمه في كل منطقة ودور تلك الاستفادة في تحديد السياسة المتبعة إزاءها. وبذلك يمكن تفادي تعميمات خاطئة سقطت فيها دراسات لم تعتمد

على هذه الوثائق (١٩). وسأعطى على دور العوامل الاقتصادية والبحث عن الربح في توجيه السياسة البرتغالية مثالين، واحدا من المغرب الأقصى وآخر من الخليج العربي.

لقد اعتمد البرتغاليون بشمال المغرب على عدد كبير من الاساطيل والرجال للاستيلاء على المدن. وكانت سياسة المخططين للغزو واضحة: التخریب ومطاردة المغاربة وانتهاج سياسة الأراضي المحروقة الشيء الذي يتناسب وعقلية الفرسان والنبلاء الذين عاشوا في الأرض فسادا. أما في الجنوب المغربي، فلقد كانت المخططات للاستيلاء عليه مخالفة وذلك لأسباب تجارية. فإذا كان المسؤولون البرتغاليون على علم بما كانت تعاني منه مدن تلك المناطق من فتن واضطرابات، وإذا كانوا قد زادوا تنافس الاعيان حول السلطة حدة بتدخلاتهم ورشاويهم ومختلف الضغوط التي مارسوها، فإنهم تفادوا مع ذلك التدخل العسكري لاحتلال أهم تلك المدن وذلك رغم الفرص التي أتاحت لهم. لقد كانوا يكتفون كلما تبين لهم أن مجرى الأحداث أصبح يهدد مصالحهم بتنظيم انقلابات وبتسليم السلطة لمن كانوا يتوقعون منه حماية مصالحهم وتنميتها. ولم يقرر الملك البرتغالي احتلال أسفى سنة ١٥٠٨ إلا وهو

شبه مرغم ، وتحت ضغط التجار المحليين ، الذين كانوا ينتظرون من ذلك الاحتلال ارجاع الأمن الى المدينة ووضع حد للفتن التى قضت على الرواج التجارى الذى كانت تعرفه . وبعد احتلال المدينة ، عمل الملك كل ما في وسعه للحيلولة دون دخول البرتغاليين في حروب ضد القبائل المجاورة ودون انتهاج سياسة الأرض المحروقة المتبعة بالشمال . وأوصى بالاعتماد على الرشاوى وخلق عملاء والاعتماد على الدبلوماسية أكثر من الاعتماد على الأسلحة . وقام الملك بعدة تنازلات سياسية وجبائية لضمان ولاء القبائل واستمرار اقبالها على الموانئ ولضمان طاقات المنطقة الانتاجية والاستهلاكية لصالح البرتغال . وتساهم الوثائق ذات الطابع التجارى المحض في فهم هذه السياسة وتحديد أسبابها . فمناطق الجنوب ، وخصوصا دكالة ، أصبحت منذ النصف الثانى من القرن الخامس عشر ، تمثل أهمية قصوى داخل الامبراطورية التجارية البرتغالية ، اذ أصبحت ضرورية لاستمرار استفادة البرتغال من تعامله التجارى مع غرب افريقيا لتوفرها على المواد الضرورية للحصول هناك على التبر والعبيد (أنسجة صوفية ، نحاس ، حبوب ، خيول ..) ولترويج توابل وعقاقير الهند .. ونظرا لهذه

الأهمية ، عمل البرتغاليون على الاحتفاظ بدكالة وساحل غرب افريقيا داخل كتلة جغرافية لا يمكن ان تجزأ أو ان يتخلى عن قسم منها لاسبانيا التى عبرت في عدة مناسبات عن مطامعها في المنطقة (٢٠) .

أما بالمشرق العربى ، فلقد كانت السياسة البرتغالية مرتبطة بهدف واضح : القضاء على الوساطة العربية ما بين أوروبا والمناطق الآسيوية المنتجة للتوابل والعقاقير والاعطور كشرط أساسى لتعويض الايطاليين كمزود ضرورى لأوروبا بتلك السلع التى كانوا يحصلون عليها من مصر أو سواحل الشام . ولهذا كان اغلاق البحر الأحمر في وجه الملاحه العربية أهم ما كلف به الاسطول البرتغالى الذى أرسل الى المنطقة سنة ١٥٠٥ . وهكذا ألح قائد الاسطول المذكور على الموانئ العربية بالغارات وخرب عددا منها توجد على ساحل عدن ومدخل البحر الأحمر والخليج وقام باحتلال هرمز . ولكن هذا القائد سرعان ما أدخل تعديلا مهما على سياسته وذلك بعد ان عاين معطيات التجارة بالمنطقة . لقد لاحظ أن العلاقات بين آسيا والعالم العربى عريقة وأن اغلاق البحر في وجه التجارة العربية لن يؤدى في نهاية الأمر الا الى تنشيط الطرق البرية التى لا يمكن للبرتغاليين مراقبتها كما ان الهند لا يمكنها

الكميات المحصل عليها لا تسمح قط بمنافسة البرتغال بأوروبا . وأكد للملك حقيقة أخرى قد تبعث على الاستغراب : لقد سمح للعرب بركوب البحر بالخليج : ولكن شريطة الحصول من البرتغاليين على تصريح Cartaz ، وشريطة الاتجار مع هرمز وحدها ! (٢٢) .

وللمزيد من الايضاح حول مساهمة هذه الوثائق ذات الطابع التجارى في التعريف بالأنشطة التجارية التى كان العالم العربى يعرفها ، ومدى اهتمام البرتغاليين بالمنتجات والأثمان وأهم المراكز التجارية وانشط الطرق والمسالك أشير الى ان ايصالا متعلقا بالمتجر الملكى (فيطورية) بفلندرا (بلجيكا الحالية) مؤرخ ١٥٤٧/٤/١ أشار الى أهم الطرق التجارية بين البصرة ودمشق وباقى المدن التركية وأكد أن المدينة الثانية استطاعت بفضل البصرة تعويض القاهرة كأكبر خزان وموزع للتوابل والعقاقير وذلك نتيجة تضيق البرتغاليين الخناق على الملاحة بالبحر الأحمر (٢٣) .

٢ - بالإضافة الى تسليط هذه الوثائق الأضواء على الدوافع ، تسمح كذلك بدراسة الوسائل المسخرة من طرف البرتغاليين لغزو البلاد الإسلامية ..

الاستغناء عن مواد تعودت الحصول عليها من العالم العربى كالخيول والفضة . ولهذا لم يعد المسئولون البرتغاليون ينظرون الى التحكم في هرمز نظرتهم الى احتلال عدن أو جزر القمر مثلاً .

وهكذا تقرر عدم اغلاق تلك المبادلات في وجه العرب وفرض الوساطة البرتغالية عليهم تفاديا لاتصالهم بالمناطق المنتجة . وكلفت هرمز بامتصاص سلع الجزيرة العربية والعراق والشام وتوزيع مواد الشرق الأقصى اعتمادا على البصرة على الخصوص . وتمكن رسائل «البكرك» السابقة الذكر من تتبع مراحل انتهاج هذه السياسة . ففي رسالة موجهة الى الملك مؤرخة في ١٥١٠/١٠/٤ (ص ٤٢٣) وأخرى تعود الى ١٥١٤/١٢/٢٧ (ص ٣٤٦ - ٣٤٩) . تنجلى خلفيات هذا المخطط بكل وضوح . لقد أدى فتح هرمز في وجه التجار العرب الى امتصاص نسبة مهمة مما كان يرسل الى الهند من فضة وخيول . وفي رسالة أخرى ، (هرمز ، ١٤١٥/٩/٢٢ ، (ص ٣٧١) أخبر الملك انه يعلم جيدا ان العالم العربى والتركى والفارسى يتزود بالتوابل من البصرة وأنه لا يرى في ذلك أى خطر على مصالح البرتغال ما دامت تلك المناطق خارجة عن النفوذ العثمانى (٢٤) ، وما دامت

ذلك انها توفر معلومات وأرقاماً عن أعداد الجنود والأساطيل ونوعية الأسلحة المستعملة من طرف البرتغاليين للهجوم على ثغر معين أو الدفاع عنه أو لخوض معركة بحرية .. الخ .. كما تعرف هذه الوثائق بأنواع وأشكال التحصينات المستحدثة وأحياناً بمصدر موادها الخام والمصاريف التى تطلبها بناؤها أو ترميمها .. واعتماداً على هذه الوثائق يمكن دراسة سياسة التوغل السلمى وفرض نظام الحماية على مجموعة من الثغور لأسباب سبقت الإشارة إليها .

٣ - المراحل والمكتسبات المحققة :

بما أن مصادرنا - لا أتحدث عن الوثائق لانعدامها - تحتوى على مجموعة من العيوب سبقت الإشارة إليها وأهمها افتقارها للتواريخ الدقيقة - وهى أهم عنصر للتأريخ لحدث ما - فإن مساهمة هذه الوثائق الأوروبية فى كتابة تاريخ اعتداء الأيبيريين على البلاد الإسلامية أساسية لتوفيرها امكانية تتبّع مراحل ذلك الاعتداء بدقة كبيرة أحياناً .

ومن جهة أخرى تسمح هذه الوثائق بادخال بعض الفوارق على تلك المراحل كما يتجلى ذلك مثلاً من خلال مرحلتى الشمال والجنوب المغربيين اللتين سبقت الإشارة الى وجودهما لأسباب استراتيجية (الشمال)

وتجارية (الجنوب) .

كما تسمح بتتبع مدى متانة تلك المكتسبات وعلى ضوء ما تزودنا به من معلومات - وبالرغم من سكوت المصادر البرتغالية عن الكثير من الهزائم البرتغالية - تسمح للمؤرخ بالخروج بنتائج مدهشة . فإذا كانت تلك المكتسبات التى استطاع البرتغال تحقيقها بالمغرب والمشرق العربيين ، سريعة ومهمة وسهلة نسبياً ، فإن نسفها بسبب مختلف ردود الفعل التى تولدت على ذلك الغزولم يكن أقل منها سرعة . وهكذا وبخلاف ما حاول بعض المؤرخين الأجانب اخفائه ، لم تدم سطوة البرتغاليين بجنوب المغرب - حيث كان نجاحهم أكبر - أكثر من ثلاث سنوات (١٥١١ - ١٥١٤) لتصبح أوضاعهم بعد ذلك شبيهة بما كانوا يعانون منه بباقي الثغور ، أى العيش فى حالة حصار مستمر^(٢٤) واعتماداً على هذه الوثائق يمكن للباحث تتبع مختلف التنظيمات المستحدثة من طرف البرتغاليين داخل الثغور : الادارية ، العسكرية ، المالية ، التجارية ، والدينية^(٢٥) .

٤ - ردود الفعل العربية الإسلامية :

يجد الباحث بالوثائق البرتغالية مادة غزيرة لدراسة هذا الموضوع . ولقد بينت فى محل آخر^(٢٦) كيف أن محاضر محاكم التفتيش التى قد تبدو

جد بعيدة عن موضوع كهذا تساهم في دراسة ردود الفعل العربية الاسلامية التي تولدت عن محاولات البرتغاليين الحيلولة دون ركوب المسلمين البحر . وفضلا عن هذه المحاضر تسلط تقارير ومراسلات كثيرة الأضواء على الحروب البرية والبحرية ، الشعبية والرسومية التي اعلنها العرب والعثمانيون على البرتغاليين بالبحر الاحمر والخليج والمحيط الهندي والسواحل المغربية والهندية . وهكذا يمكننا استغلال هذه الاعداد المهمة من الوثائق من مجموعة نتائج أشير الى أهمها :

١ - ان ردود الفعل العربية الاسلامية كانت فورية وعنيفة واكتسبت طابعا شعبيا واضحا لتنبية شعوب المناطق المعرضة لخطورة المخططات البرتغالية . وكان هذا وراء تراجع نفوذ البرتغاليين ونسف مكتسباتهم بسرعة كبيرة ووراء تقلبات سياسية مهمة عرفها العالم العربى كتنحية الوطاسيين العاجزين عن مواجهة البرتغاليين ومبايعة الشرفاء والسعديين بالمغرب واستنجد الجزائريين بالأتراك بعد تأسيسهم من دولة بنى عبد الواد .

٢ - تشهد هذه الوثائق نفسها على افشال ردود الفعل العربية الاسلامية للمخططات البرتغالية السابقة الذكر فاذا كان الغزو البرتغالى يهدف أولا

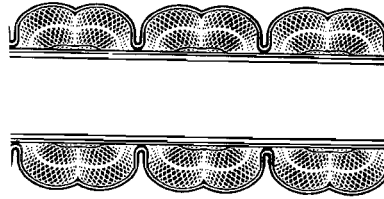
وقبل كل شئ الى حرمان العرب من دور الوساطة ما بين أوروبا والسودان الغربى من جهة ، والشرق الأقصى من جهة أخرى ، فان تعامل العرب مع هذه المناطق لم يتوقف أبدا وان تضرر من الحصار البرتغالى .. فلقد استمر المغاربة في عرض التبر ببعض الموانئ التي بقيت حرة وازداد العرض مع السنوات رغم كل المحاولات البرتغالية لقطع الطريق على القوافل الى حد جعل المؤرخ البرتغالى الكبير (غودينيو) يعتبر ما عبر عنه بانتقام القوافل من الكرفيات البرتغالية أهم أسباب انتصار المغاربة السياسى والعسكرى على البرتغاليين ^(٢٧) . ولم يستطع البرتغاليون اغلاق البحر الأحمر أو الحيلولة دون وصول التجار العرب الى السواحل المنتجة للتوابل كما تشهد على ذلك اعترافات المسؤولين البرتغاليين أو الغنائم التي كان البرتغاليون يحصلون عليها من مطاردة السفن العربية بساحل عدن والبحر الأحمر والخليج .

٣ - ان ردود الفعل العربية الاسلامية لم تعط نتائج فورية وسريعة نظرا لتفوق البرتغاليين في ميدان الأسلحة النارية وخصوصا لافتقار المناطق المعرضة للغزو لقوة سياسية قادرة على الرد على التحدى البرتغالى مما أخر التحرير كذلك تناحر أمراء وملوك المناطق المعرضة للغزو أو القريبة من

مناطق النفوذ البرتغالي . ذلك التناحر الذى زاده البرتغاليون حدة .
كما تمكن هذه الوثائق من الوقوف على سبب رئيسى حال دون احراز انتصار نهائى وسريع ضد البرتغاليين والمتمثل في عجز الدولة العربية والاسلامية على مجابهة البرتغاليين بأسطول في مستوى ما كان بأيديهم .
لقد حال افتقار المغاربة لاسطول قادر على منع حصول البرتغاليين على الرجال والعتاد والأقوات من البرتغال دون حصولهم على نتائج مهمة من اعلانهم حروبا برية على برتغالي الثغور المحتلة وتؤكد نفس الوثائق حقيقة أخرى مهمة : لقد أدى استعمال المصريين أولا ، والعثمانيين بعد ذلك لأساطيل خاصة بالبحر المتوسط في حروبهم ضد البرتغاليين

بالمحيط الهندى الى حصول هؤلاء على انتصارات هائلة رغم قلة أعداد مراكبهم .

وتسمح بعض التقارير والمراسلات بأخذ فكرة عن محاولات المصريين والعثمانيين انشاء اسطول بحرى بالسويس لافشال المخططات البرتغالية ، وتطلعنا على المشاكل التى واجهتهم في ذلك : التأخر التكنولوجى ، اذ كانت الأشرعة والمدفعية وغير ذلك ترسل من اسطنبول ، وعدم توفر المواد الخام وعلى الخصوص الأخشاب التى كانت تجلب من لبنان الى مصر حيث كانت السفن تنزلها بميناء الاسكندرية ورشيد لتجد في انتظارها ٤٠٠٠ جمل لنقلها الى السويس (٢٨) .



المراجع

- (١) محمد الكراسى : عروسة المسائل فيما لبنى وطاس من الفضائل ، تحقيق ونشر عبدالوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٦٣
- (١ م) ابن القاضي أحمد : لقط الفرائد من لقاطة الفوائد . تحقيق محمد حجي ، الرباط ، ١٩٧٦ .
- (٢) الناصري ، أحمد بن خالد : كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى . ج ٥ ، ط . البيضاء ، ١٩٥٥ ، ص ١٠ ذكر الشخص المذكور يحيى بن تافوت عوضا عن أو ناعفوت .
- (٣) المدنى ، أحمد توفيق : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (١٤٩٢ - ١٧٩٢) ، الجزائر ، بدون تاريخ .
- (٤) حكم الملوك الذين نحن بصدد الحديث عنهم البرتغال في الفترات التالية :
 - جوا الأول : ١٣٨٣ - ١٤٣٣ .
 - دواردو : ١٤٣٣ - ١٤٣٨ .
 - افنصو الخامس الملقب بالافريقى : ١٤٣٨ - ١٤٨١ .
 - جوا الثانى : ١٤٨١ - ١٤٩٥ .
 - امنويل الملقب بالسعيد : ١٤٩٤ - ١٥٢١ .
 - جوا الثالث : ١٥٢١ - ١٥٥٧ .
 - دون سببستيان : ١٥٥٧ - ١٥٧٨ . (وهو الذى قتل بمعركة وادى المخازن) .
- (٥) Documentos das Chancelarias Reais Anteriores a 1631 relativas a Marrocos. T.I (1415-1450), Lisboa 1916, T II (1450-1456) Lisboa
 والمؤلف هو (بيدرو دو ازفيدو) Pedro de Azevedo.
- (٦) P.M. Laranjo Coelho: Documentos Ineditos de Marrocos, Chancelaria de Joao, II, Volume I. Lisboa 1943.
- (٧) Nucleo Antigo, No. 575.
- (٨) Nucleo Antigo No. 556.
- (٩) Nucleo Antigo No. 869.
- (١٠) يعتبر العمل التالى احسن عمل للتعريف بمصادر محاكم التفتيش

البرتغالية :

Charles Amiel: les archives de l'Inquisition portugaise: regards et reflexions. Paris 1979.

(١١) لا تتوفر الا محاضر محكمة يابرة على فهارس في حين بقيت محاضر محكمة كوينبرا ولشبونة بدون ذلك .

(١٢) تغلب المحاضر المتعلقة بمحاكمة المورسكيين الذين القى القبض عليهم في حالة فرار أو لتحضيرهم لذلك ضمن محاضر محكمة لشبونة الشيء الذي يسمح للمؤرخ بتتبع أسباب عدم اندماج تلك الجالية في المجتمع البرتغالي . ولأخذ فكرة عن هذه الأنواع وعن ظروف المحاكمات .. راجع مقالتنا : محضر محاكمة مغربية من لندن محكمة التفتيش الدينية البرتغالية ، مجلة المنال ، (الرباط) عدد ٢١ ، يوليو ١٩٨١ ، ص٢٢٤ - ٢٧٨ .

(١٣) مساهمة محاضر محاكم التفتيش الدينية في تسليط الأضواء على ردود الفعل العربية الإسلامية ضد المخططات البرتغالية بالمغرب والخليج العربي .

(١٤) بالنسبة للمغرب : Damiao de Gois: Cronica do Felicissimo Rei dom Manuel, Traduction de Robert Ricard: Les Portugais au Maroc, Rabat, 1937.

— F. Luis de Sousa: Anaes del Rei dom Joao Terceiro. Traduction de R. Ricard, les Portugais et l'Afrique du Nord, 1940.

— Bernardo Rodrigues: Anais de Arzila, edit. David Lopes, Lisboa 1915 (2 Vol.)

Joao de Barros: Asia, primeira decada, IIa decada, : وبالنسبة للشرق : IIIa, IVa decada. Lisboa 193

— Fernao Lopes de Castanheda: Historia do Descobrimento e Conquista dasIndi

P. Cenival, in Sources Inedites ... I p396. (١٥)

R. Ricard, in Le Propleme de l'occupation restreinte dans l'Afrique du Nord. Annales d'histoire economique et sociale. Septembre, 1936 pp 426-34. (١٦)

— Durval Pires de Lima: Historia da dominacao portuguesa em cafim. Lisboa 1930. p 107.

Witte (Ch. M.): Les Bulles pontigicales et l'Expansion portugaise au XV siecle. Revue d'Histoire eclesiastique, no. XLVIII (1953), XLIX (1954), LI (1956), LIII (1958), revenue editee a Louvain, en Belgique.

Sources Inedites ... IIpp640-44, 652, 665, 690, 692 ... IIIpI... (١٨)

(١٩) راجع دراستنا : دكالة والاستعمار البرتغالي الى سنة اخلاء أسفى وازمور
مكتبة كليتي الآداب بالرباط وفاس ، الفصل الرابع من
الباب الأول والأول من الباب الثاني وخصوصا الفصل
الثاني من الباب الثالث (تحت الطبع) .

R. Ricard: Le commerce de Berberie et l'organisation economique (٢٠)
de l'Empire portugais aux XV^e et XV^e siecles. In Etudes sur l'His-
toire des Portugais au Maroc. p 103.

في ديسمبر من سنة ١٥٤٦ بعد سنوات من الولاة
(٢١) ما ان احتل العثمانيون البصرة حتى قدم للادارة المركزية تقرير حول
الأوضاع الجديدة التي أصبحت عليها المدينة (١٥٤٧) : « وجهات نظر حول
الأتراك الموجودين بالبصرة » .

Pareceres sobre os Turcos que estao em Bassora !!Bibliotheque de
Ajuda (Lisboa) codice 51-VIII-42 folios 293-331. cite par Vitorino M.
Godinho: Os Descobrimentos e a economia mundial, T2, p161, No
186.

Vitorino M. Godinho: op cite p 160. (٢٢)

(٢٣) نقله المؤلف السابق بالمرجع السابق ص ١٦٣ - ١٩٠ .

(٢٤) راجع دراستنا السابقة الذكر ، الفصل الثالث من الباب الرابع .

(٢٥) خصصنا لهذا الموضوع فصلا كان هو الأول من الباب الثالث الخاص
بالتنظيمات المستحدثة من طرف البرتغاليين .

(٢٦) راجع ما جاء بالهامش ١٣ .

Vitorino M. Godinho: l'Economie de l'Empire portugais aux XV^e (٢٧)
et XVI^e siecle, Paris 1969 pp 223-225.

V.M. Godinho; Os Descobrimentos ... op cite p 154. (٢٨)